

رَوَائِعُ الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ لِلنَّاشِئِينَ

سِرِّكَ فليست

تأليف: بيج . ميد فوكنر

مراجعة: مختار السويدي



مون فليت

مون فليت

الطبعة الثانية

تأليف: ج. ميدفوكنر
ترجمة: مختار السويفى
مراجعة: صبرى الفضل



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠ مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأدب العالمى للناشئين)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

مون فليت

تأليف : ج. ميدفوكنر

ترجمة: مختار السويضى

مراجعة : صبرى الفضل

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د . سمير سرحان

على سبيل التقديم

«كتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة، تلك الصيحة التي أطلقتها المواطنة المصرية النبيلة «سوزان مبارك» في مشروعها الرائع «مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة، والذي فجر ينابيع الرغبة الجارفة للثقافة والمعرفة لشعب مصر الذي كانت الثقافة والابداع محور حياته منذ فجر التاريخ.

وفي مناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق المشروع الثقافى الكبير وسبع سنوات من بدء مكتبة الأسرة التي أصدرت فى سنواتها الست السابقة ١٧٠٠٠، عنواناً فى حوالى ٣٠٠ مليون نسخة لاقت نجاحاً واقبالاً جماهيرياً منقطع النظير بمعدلات وصلت إلى ٣٠٠٠ ألف نسخة من بعض إصداراتها.

وتنطلق مكتبة الأسرة هذا العام إلى آفاق الموسوعات الكبرى فتبدأ بإصدار موسوعة «مصر القديمة، للعلامة الاثرى الكبير «سليم حسن، فى ١٦٠ جزءاً إلى جانب السلاسل الراسخة «الابداعية والفكرية والعلمية والروائع وامهات الكتب والدينية والشباب، لتحاول أن تحقق ذلك الحلم النبيل الذى تقوده السيدة: سوزان مبارك نحو مصر الأعظم والأجمل.

د. سمير سرحان

الفصل الأول

قرية مون فليت

تقع قرية مون فليت على الضفة الغربية لنهر « فليت » وعلى مبعده نحو نصف ميل من شاطئ البحر . ويضيق مجرى هذا النهر حين يمر بمنطقة القرية ، وما أن يبتعد المجرى خلف القرية حتى يتباعد شاطئاه ويصبح أشبه مايكون ببحيرة واسعة .

في طفولتي . . كنت أظن أن القرية قد سميت بهذا الاسم « مون فليت » لأن القمر يتلألا نوره على سطح هذه البحيرة المجاورة ، ولكني علمت فيما بعد أن الاسم الحقيقي لهذه القرية هو « موهون فليت »

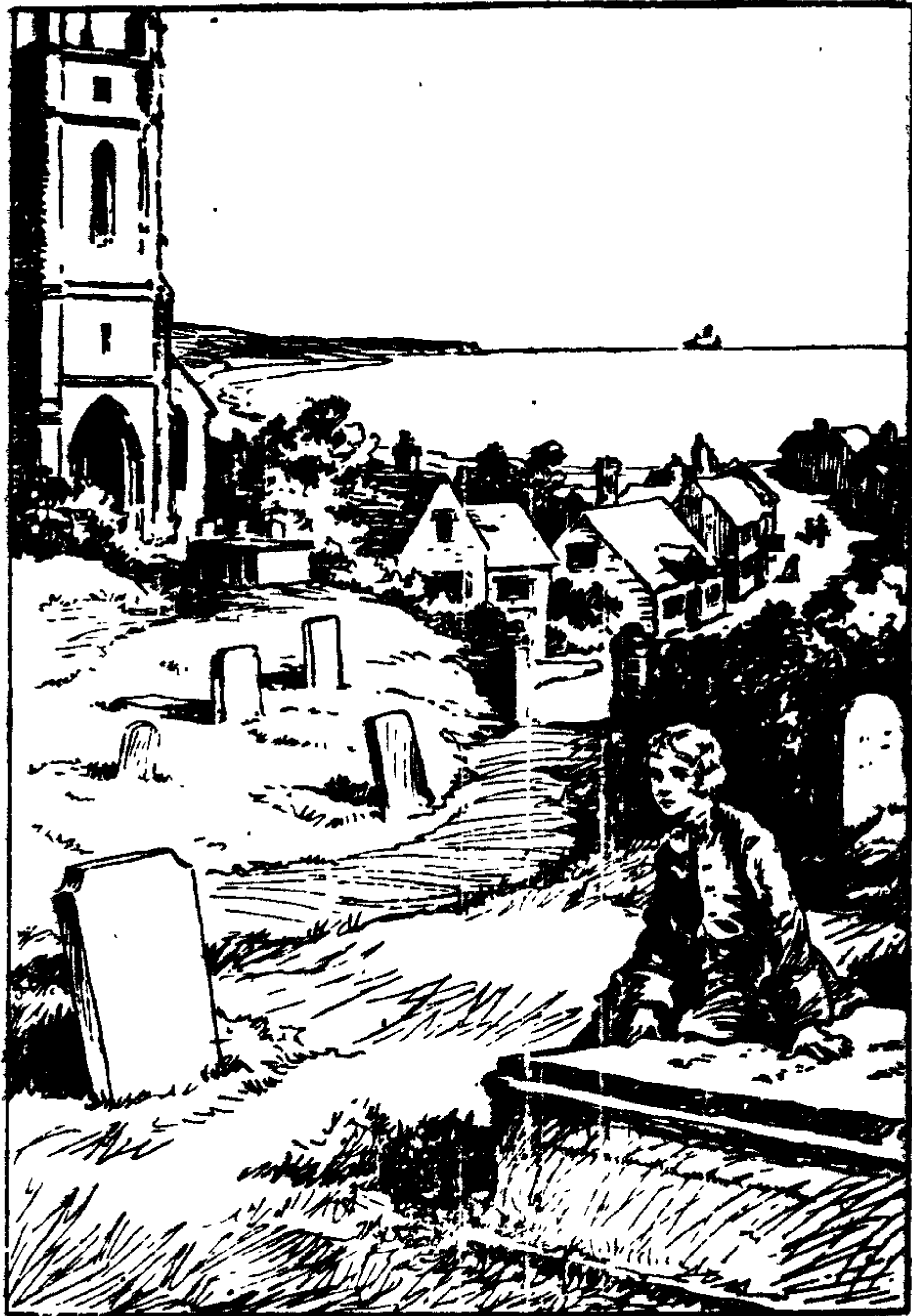
وقد تحرف هذا الاسم فيما بعد الى « مسون فليت »
بمرور الزمن ..

أما كلمة « موهون » فهي اسم لعائلة كبيرة كانت
تحكم فيما مضى هذا الاقليم من البلاد الذى تقع فيه
القرية ..

اسمى « جون ترنشارد » .. وكان عمرى خمسة
عشر عاما حين بدأت هذه القصة .. وكنت يتيم
الأبوين ولذلك كنت أعيش مع خالتي «مس آرنولد»

وقد بدأت أحداث هذه القصة فى شتاء عام
١٧٥٧م .. حين كنت أقرأ قصة « علاء الدين والمصباح
المعجربى » وكيف أغلق عليه الساحر باب كهف عميق
بداخل الأرض ، لأن علاء الدين رفض أن يعطيه
المصباح ..

وقد جعلتنى قراءة هذه القصة أفكر فى الكوابيس
والأحلام المزعجة حين نرى أنفسنا وقد انحبسنا داخل



•• قرية مون فليت

حجرة ضيقة مغلقة ، ونرى جدران هذه الحجرة تضيق
علينا حتى تكاد نخمد أنفاسنا ٠٠ لذلك فقد توقفت عن
القراءة وخرجت الى الشارع .

كانت الشمس قد غربت منذ قليل ومع ذلك فلم
تكن السماء مظلمة ٠٠ وكان كل شيء هادئاً تماماً ،
عدا صوت رتيب كان يصدر من احد البيوت : تاب ٠٠
تاب ٠٠ تاب ٠٠ تاب !

كان الصوت يخرج من بيت « راتسى » حفار
المقبر ٠٠ ويبدو أنه كان يحفر اسم أحد الموتى على
الشاهد الحجرى الذى سيوضع فوق قبره .

توجهت نحو بيت « راتسى » ونظرت خلال الباب
المفتوح . وما أن شاهدنى « راتسى » حتى قال :

— اهلا يا جون . تعال ساعدنى واحمل لى المصباح !

كان « راتسى » يحفر نقشنا يصور سفينتين
صغيرتين ٠٠ وكان رجال كل سفينة يحاربون رجال

السفينة الأخرى ٠٠ وتحت هاتين السفينتين كتبت
الكلمات التالية :

« دافيد بلوك »

عمره : ١٥ سنة ٠٠ قتل بطلقة نارية

أطلقها السفينة « الكتور »

في ٢١ يونيو ١٧٥٧

وكان « دافيد » المسكين هذا حديث جميع أهالى
القرية ٠٠ وهو الابن الوحيد لـ « الزفير بلوك »
صاحب حانة « هواى نوت » ٠٠

فى ذلك الزمن ، كان على التجار الذين يستوردون
أى نوع من البضائع الى انجلترا ، أن يدفعوا ضرائب
باهظة لخزانة الملك ٠ ولذلك فقد ظهرت مجموعة من

« المهريين » الذين كانوا يتمكنون من ادخال الكثير من البضائع الى البلاد دون أن يدفعوا الضرائب المفروضة وكان هؤلاء المهريون يقتربون بسفنهم الى بعض الشواطئ الخالية حيث لا يراهم أحد ، ويقومون بانزال ما يحملونه من صناديق وبراميل الى البر .

واضطر الملك الى تكوين مجموعة من « رجال الضرائب » لتقوم بمواجهة هؤلاء المهريين والقبض عليهم .

وكان « الزفير » واحدا من هؤلاء المهريين .
وكانت احدى السفينتين اللتين يحفر « راتسى » صورتها على شاهد القبر ، تابعة « لرجال الضرائب » بينما كانت السفينة الأخرى تابعة « للمهريين » .

ويقال ان « المستر ماسكيو » الذى يملك اراضى واسعة قرب « مـون فليت » هو الذى ابلغ رجال الضرائب بالخطط التى يدبرها المهريون .
وأنه كان على ظهر سفينة رجال الضرائب حين قتل « دافيد » .

قال راتسى وهو ينتظر الى المسفيتين والكلمات
التي نقشها على شاهد القبر الذى كان يعمل فيه :

- انه أمر سيىء أن يقتل غلام فى مثل هذه
السن ٠٠ وهم يقولون ان المهربين الثلاثة الذين تم
القبض عليهم سيعدمون شنقا ٠٠ على أية حال ففى
يوم الاثنين القادم ساقوم بتلوين السفن وأعلامها
باللونين الأحمر والأسود ٠٠ أما الآن فهيا نذهب معا
الى حانة « هواى نوت » ٠٠ ان « الزفير » فى حزن
شديد ٠٠ تعال نتحدث اليه ونواسيه ٠٠ !

وكنت على يقين من أن خالتي ستغضب اذا علمت
بأنى ذهبت الى حانة « هواى نوت » ٠٠ ومع ذلك فقد
ذهبت .

ولم يكن « هواى نوت » هو الاسم الحقيقى لهذه
الحانة ٠٠ فقد كان اسمها فى الأصل « حانة الموهون »
نسبة الى عائلة « الموهون » التى كانت تتخذ حبرف
« الواى » الانجليزى « Y » شعارا لها . ومازال هذا

الشعار موجودا على باب الحانة .. ولذلك فقد سماها الناس حانة « وای » .. ثم تحرف هذا الاسم الى « حانة هواي » .. ثم الى « هواي نوت » .

فتح « راتسي » باب الحانة ودلف الى الداخل ودخلت وراءه الى القاعة الرئيسية بالحانة ، وكانت عبارة عن حجرة واسعة رصت المقاعد بجوار جدرانها ووضعت منضدتان في المنتصف .. وفي أقصى طرف القاعة كانت هناك مدفأة تتأجج فيها النار .. وكان الضوء المنبعث من هذه النار هو مصدر النور الوحيد في تلك القاعة .

وبالقرب من هذه المدفأة ، جلس « الزفير » حزينا وهو يتأمل شعاعات اللهب وهي تتراقص فوق الحطب المشتعل ..

كان « الزفير » رجلا قويا ضخم الجسم .. وقليلون هم الذين يعرفون عنه شيئا .. وكان أغلبية الناس يندهشون لاصراره على ادارة وتشغيل هذه

الحانة التي تدر عليه ربحا قليلا ، مع انه غنى ويمتلك الكثير من الأموال وليس فى حاجة الى هذا السربح القليل .

ونظر الى « الزفير » فى غضب وقال مخاطبا « راتسى » :

– لماذا أحضرت هذا الطفل الى هنا ؟!

فقال « راتسى » بهدوء وثقة :

– « جون » ليس طفلا . انه فى عمر ابنك دافيد . لقد ساعدنى فى انهاء النقش على الشاهد الذى سنضعه على قبر دافيد .

فقال « الزفير » بصوت حزين متوعد :

– نعم . سيرقد « دافيد » فى سلام . أما الذين قتلوه فلن يعرفوا السلام أبدا .!!

وحسب علمى كنت أعرف أنه يقصد « مستر ماسكيو » بهذا التهديد .

وجلس « راتسى » بجوار « الزفير » .. وأخذ
الاثنان يتحدثان معا فى بعض الشئون .. وبعد مرور
بعض الوقت ، نظر « الزفير » نحوى وقال :

— لقد حان الوقت لتصرف أيها الغلام .. ان « ذا
اللحية السوداء » يتجول فى المساء .. ولا اعتقد أنك
تريد ان تقابله !



كان « ذو اللحية السوداء » هذا أحد أفراد عائلة
« موهون » وقد مات منذ زمن ودفنت جثته فى قبر تحت
الأرض التابعة للكنيسة .. ولكن يقال انه لم يكن
مستريحا فى قبره لأنه فقد جوهرة ضخمة قبل أن يموت
ويخرج شبحه من القبر كل مساء ليواصل البحث عن
هذه الجوهرة .. ولذلك فقد كان الناس يخشون
الاقترب من الكنيسة بعد غروب الشمس خوفا من
رؤية أو مقابلة « ذى اللحية السوداء » . ويقال ان
« كراكى جونس » الذى عثر عليه مقتولا ذات صباح

قد مات بعد أن تقابل مع « ذى اللحية السوداء » فى الليل .

والاسم الحقيقى لـ « ذى اللحية السوداء » هو « جون موهون » وكان يعمل مأمورا للسجن الذى سجن فيه « الملك شارل الأول » (١) بعد هزيمته . وكان الملك يتزين بجوهرة ثمينة عبارة عن قطعة ضخمة من الماس وعرض « جون موهون » على الملك السجين أن يساعده فى الهرب من السجن إذا أعطاه هذه الماسة . وقبل الملك هذا العرض وأعطى الماسة « لجون موهون » .

وما أن شرع الملك فى الهرب من السجن حتى لحق به « جون موهون » وقبض عليه وأعادته الى السجن مرة أخرى . ولكن هذه القصة المخادعة قد اكتشفت وصدر أمر بالقبض على « جون موهون » وأودع

(١) الملك شارل الأول كان ملكا سيئا على انجلترا ، وقامت ضده ثورة عارمة ، وقبضوا عليه وسجنوه ثم أعدموه .

السجن ٠٠ ولكنه استطاع الهرب ، وقام باخفاء
الجوهرة الثمينة فى مكان ما ٠٠

ويقول الناس انه لم يستطع أن يعثر على هذه
الجوهرة بعد ذلك ٠٠ ويقول آخرون انه لم يستطع
الوصول الى المكان الذى أخفى فيه الجوهرة ٠٠ ولهذا
السبب فان شبحه يخرج من المقبرة كل مساء ليواصل
البحث عنها ،

وبالرغم من كل ذلك فقد كنت أحب الذهاب الى
منطقة المقابر والجلوس هناك حتى أتمكن من رؤية
البحر ٠٠ ولكنى كنت أخاف بالطبع من الذهاب الى
المقابر بعد أن يحل المساء ٠٠ ومع ذلك ففى إحدى
الليالى شاهدت ضوءا يتحرك فى منطقة المقابر ٠٠ وكان
هذا شيئاً غريباً لأن أحدا لا يستطيع أن يمشى فى تلك
المنطقة فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ٠٠ !

الفصل الثانى

الموهون يتحركون !!

وفى يوم السبت ٠٠ بعد مرور بضعة أيام على زيارتى الأولى لحانة « هواى نسوت » ٠٠ كان الجو سيئاً للغاية ، فقد هطلت الأمطار بغزارة ، وفاض النهر وغطت المياه مساحة كبيرة من القرية ، ومع ذلك فقد ظلت منطقة المقابر بعيدة عن مياه الفيضان بالرغم من ان المياه قد وصلت بالفعل الى الجدران المحيطة بالمنطقة .

وكان الوقت بعد الظهر ٠٠ وكنت أسير مع « راتسى » فى الطريق الذى يخترق منطقة المقابر لأنه

كان أفضل الطرق الصالحة للوصول الى القرية بعد أن
أغرقت المياه بقية الطرق الأخرى .

وهناك تقابلنا مع « المستر جلينى » الذى كان
قائما من جهة الكنيسة . . . وعندئذ توقفنا عن السير
وبدأنا نتحدث معه . . . وكانت وقفنا بجوار قبر مرتفع ،
يبدو وكأنه على شكل منضدة ، وتحيط به شجرتان . .
شجرة على كل جانب . .

وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب والاختفاء
خلف خط الأفق ، ولكنها لم تزل تسلط أشعتها الحمراء
على السحب العالقة بالسماء . . . والى كانت تتشكل
فى أشكال غريبة ورجال ضخام يحيط بهم النور
الأحمر من كل جانب . .

والحقيقة انى بدأت أشعر بالخوف من البقاء فى
منطقة المقابر بعد مغرب الشمس وحلول الظلام . .
لذلك فقد وضعت يدي على ذراع « راتسى » لأنبهه الى
أن وقت عودتى الى البيت قد حان .

وفجأة حدث شيء جعلنى ارتعد من شدة الخوف
.. سمعنا أصواتا صادرة من تحت أرض المقابر ..
وكانت معنا « مسز تاكر » وهى سيدة عجوز طاعنة
فى السن .. وما أن سمعت الأصوات المخيفة التى
سمعناها ، حتى صاحت عاليا وهى تسرع بالفرار .

– الموهون يتحركون !! .. الموهون سيخرجون
من قبورهم .. !!

وعندئذ قال « المستر جلينى » وهو يقف ثابتا كأن
شيئا لم يحدث :

– يالها من سيدة غبيسة ! .. اننا نقف فوق
القبور .. والقبور عبارة عن غرف تحت الأرض ..
وبعضها غرف واسعة رصت فيها توابيت أسرار
وعائلات بأكملها .. وربما تسربت المياه الى تلك الغرف
فحركت التوابيت وجعلتها تتخبط فى بعضها ..

وقال « راتسى » :

— ربما تكون على صواب يامستر « جلينى » ..
ولكن هناك مثل يقول : عندما يتحرك الموهون .. فان
ذلك معناه الموت لشخص ما ..

فقال « المستر جلينى » :

— اذا تحرك الموهون فان ذلك قد يعنى أشياء
كثيرة .. ولكن هذه المرة لم يتحرك الموهون .. بل
المياه هى التى حركت توابعيتهم !

شعرت بالارتياح والسرور عندما غادرت ذلك المكان
.. وأسرعت فى طريقى الى البيت .. ولكن ذهنسى
كان مشغولا طول الوقت بحكاية « جون موهون » ذى
الملحية السوداء والجوهرية التى خباها فى مكان ما ..
ترى أين خباها ؟ .. ربما أخفاها فى قبره .. وهل
هو بالفعل مازال يبحث عنها ؟! .. وهل صحيح أنه
يقوم من تابوته ويخرج من قبره بعد مغرب الشمس
ويظل يبحث عنها طول الليل ؟! .. يبحث عن تلك

الماسة البراقة اللامعة الثمينة التى باع من أجلها
شرفه ٠٠ وهل يكتفى بالبحث عنها فى منطقة المقابر
أو بالقرب منها ٠٠ أو فى داخل القرية نفسها ٠٠ فى
الحارات المظلمة ٠٠ وفى الأركان والأماكن التى تخفيها
الظلال ٠٠ ؟!

وتذكرت « كراكى جونس » الذى تم العثور عليه
مقتولا ذات صباح ! ٠



وفى يوم الاثنين ٠٠ قررت الذهاب الى منطقة
المقابر لعل أسمع أصوات « الموهون » وهم يتحركون
٠٠ وهل هم يتحركون فعلا ؟ ٠٠ وبطبيعة الحال فقد
حرصت على أن تتم هذه الزيارة قبيل غروب الشمس ،
وأن أغير منطقة المقابر قبل أن تحمر السماء وقبل أن
تصبح الأشياء ظلالة داكنة ٠٠

وتسللت الى منطقة المقابر ٠٠ وقصدت القبر
الضخم الذى يبدو كمنضدة والذى يتوسط شجرتين

والذى كنا بجانبه حين سمعنا الأصوات الصادرة من تحت الأرض ٠٠ وهناك فوجئت بوجود « راتسى » و « الزفير » ٠ وكان « راتسى » يضع أذنه على جدار القبر كما لو كان ينصت الى شىء ٠٠ ولاحظت أن « راتسى » قد اعتراه الغضب حين رأتسى ، ولذلك فقد بدأت فى الجرى محاولا الهرب ، ولكنه نادى على قائلا :

– خون ٠٠ جون ٠٠ ما الذى دعاك الى الحضور الى منطقة المقابر فى مثل هذا الوقت ؟!

أجبت بلا تردد :

– لقد جئت لأسمع أصوات « الموهون » وهم يتحركون ٠٠ وهل مازالوا يتحركون ٠٠ ؟ !

فقال « راتسى » :

– دعك من هذه الخرافات والاشاعات الغبية ٠٠ كل ما فى الأمر أن المياه قد تسربت تحت أحجار هذا القبر ٠٠ وهأنذا أقوم باصلاحها ٠٠ وعليك الآن أن تذهب الى بيتى فى طريق عودتك ٠٠ وتخبرهم هناك

بأنى سأتأخر فى العودة هذا المساء لأنى مشغول فى
اصلاح القبر كما ترى !

لاحظت انه يحاول أن يجد مبررا أو سببا ليبعدنى
عن هذا المكان .. وعلى أية حال فلم أكن أرغب فى
الوجود فى مكان اعتبر فيه شخصا غير مرغوب .
ولذلك فقد أسرعت بالعودة .. ومسررت على بيت
« راتسى » وأخبرتهم بما قال .. ولكنى ما أن غادرت
البيت بعد أداء هذه المهمة ، حتى رأيت « راتسى »
قائما نحو البيت .. وحين رانى ضحك .. !

الفصل الثالث

تحت الأرض ..

أصبح هذا القبر الضخم المرتفع الذى يشبه المنضدة مكانى المفضل فى منطقة المقابر كلها .. كنت أجلس فوقه محتما بظل الشجرتين وأتمتع بمشاهدة البحر والسفن الشراعية العابرة من بعيد ..

كان من الواضح أن هذا القبر بالذات محل اهتمام كثيرين غيرى ، فقد كان الطريق الضيق المؤدى اليه ممهدا على نحو ما وتظهر عليه آثار العديد من الأقدام .

لقد مرت الآن عدة اسابيع منذ أن رأيت «راتسى»

و « الزفير » واقفين عند القبر وعندما استبعدنى
« راتسى » من منطقة المقابر بحجة واهية وغير حقيقية
.. ومع ذلك فقد أصبحت الآن مواظبا على الحضور
الى هذا المكان لأتمتع بالوحدة والهدوء ومنظر البحر ..

وفى عصر أحد الأيام ، ذهبت الى مكانى المعتاد ..
وجلست موجهة نظرى نحو البحر .. وكان الجو هادئا
وقد ساعد الهواء الدافئ على تجفيف مياه الأمطار
الغزيرة التى سقطت منذ فترة .. ولكن الأرض
الترابية التى جفت ، اتخذت أشكالا غريبة متنوعة ..
بعضها على هيئة خطوط متوازية أو متقاطعة ،
وبعضها اتخذ شكل أوان فخارية سيئة الصنع ، كما
تخلفت عدة ثقوب فى بعض الأماكن بأرض المنطقة .

لقد لف الهدوء كل شئ لدرجة انى كنت أسمع
غناء « جورج » الفلاح وهو يعمل بحقله عند سفح
التل .. وكانت الساعة قد اقتربت وقتئذ من الرابعة
بعد الظهر .. لقد حان اذن الوقت المناسب لمغادرة
منطقة المقابر والعودة الى البيت .. وفجأة سمعت

صوتا صادرا من تحت الأرض التى يعاومها القبر الضخم الذى كنت اجلس فوقه .. ولاحظت أن بعض الأتربة قد انهارت تحت الكتلة الحجرية التى تسد مدخل القبر ، وتركت فتحة صغيرة ، ولكنها تكفى لدخول أى انسان يزحف على يديه وركبتيه .

وبطبيعة الحال فلا يوجد أى صبي فى الدنيا يرى مثل هذه الفتحة ولا يود الدخول اليها ليعرف ماذا وراءها .. وهى نفس الرغبة التى انتابتنى وقررت تنفيذها ..

وهكذا قفزت من فوق القبر ، وجلست على الأرض جوار الفتحة ، ومددت قدمى بداخلها ، وبدأت أزحف ببقية جسمى،الى أن لمست قدمائى الأرض بداخل القبر .. وعندئذ وجدت نفسى واقفا تحت الكتلة الحجرية التى تسد مدخل القبر من الخارج .

توقعت فى البداية أن الأمر لا يعدو أن بعض الأتربة التى كانت تغطى سقف القبر قد انهارت وأدت الى

ظهور تلك الفتحة التي تسلت خلالها ، وكنت أظن
اننى الآن بداخل الحجرة السفلية للمقبرة .. ولكنى
كنت مخطئا فى هذا الاعتقاد وهذا الظن .. فقد تأكدت
من أن هذه الفتحة هى فى حقيقة الأمر مدخل الى ممر
طويل ينحدر قليلا الى أسفل ..

وكان هذا اكتشافا رائعا ومثيرا بالنسبة لى ..
فلا شك أن هذا الممر السرى سيؤدى الى المكان الذى
أخفى فيه ذو اللحية السوداء جوهـرته الثمينة ..
وانتابنى احساس غامر بالسعادة حين تصورت نفسى
وقد عثرت على تلك الجوهرة ، وأصبحت فى قمة الثراء
والغنى ..

وتنبهت بدهشة الى أن هواء الممر لطيف ومتجدد
.. وأن الممر نفسه نظيف بالرغم من أن أرضيته مغطاة
بتراب ناعم تظهر عليه آثار أقدام كثيرة .. وبدأت
أسير الى داخل الممر بحذر وقد مدت ذراعى أمامى
حتى لا اصطدم بشيء غير متوقع .. ثم أخذ الضوء
يخفت ويقل كلما توغلت الى الداخل الى أن وصلت

الى نقطة لا اثر للضوء فيها وغارقة فى ظلام دامس
.. وعندئذ شعرت بالخوف وقررت العودة .

وفى اقل من دقيقة كنت ازحف بجسمى خارجا من
نفس الفتحة التى دخلت منها .. وتسلل الى انفى
الهواء المنعش ورأت عيناى أضوا الشفق الحمراء
وهى تلون صفحة السماء .. واسرعت الخطى نحو
بيت خالتى قبل أن يحين موعد العشاء .

وفى اثناء الطريق قررت انى لابد أن أعود الى هذا
المر الغامض مرة اخرى ، ولكن من الضورى أن
تكون معى شمعة اسعين بضوئها عندما يلزم الأمر !

الفصل الرابع

المخازن السرية للمهربين

لاحظت على الفور أن خالتي كانت غاضبة على
لأنى أصبحت أتاخر كثيرا عن الموعد المناسب للعودة
الى البيت .. وعندما أحضرت طعام العشاء جلسنا
نتناوله صامتين ، ولم تنطق خالتي بكلمة واحدة ..
وطبعا لم أخبرها بشيء عن اكتشافى المثير للممرالسرى
.. ولكن ما أن انتهينا من تناول الطعام حتى هبت
خالتي واقفة وقالت :

- جون ! .. لقد لاحظت أنك أصبحت تتأخر
كثيرا فى العودة الى البيت مساء كل يوم .. وهذا

أمر سييء بالنسبة لصبي في مثل عمرك .. ولا يجب
ان تبقى خارج البيت بعد غروب الشمس .. ان
السريير وحجرة النوم هي افضل الأماكن للأولاد في
مثل هذا الوقت .. والآن دعني اقرأ لك شيئاً قبل
ان تذهب الى النوم .. !

وجلست خالتي وبدأت في القراءة من كتاب
يتضمن الكثير من الحكايات عن المثل العليا والأولاد
الصالحين الطيبين ذوي الأوصاف الحسنة التي تجعل
من الصعب على الانسان أن يصدق أن مثل هؤلاء
الأولاد كانوا موجودين في الحقيقة .. ولا أخفى أن
ذهني كان منصرفاً تماماً عما تقرأه خالتي .. لقد
كنت مشغولاً بأحلامي عن الجواهر .. وعن صاحب
الliche السوداء .. وعن الممر السري .. وعن الشمعة
التي يجب أن أحملها معي عند ذهابي لاكتشاف هذا
الممر مرة أخرى ..

وبعد أن انتهت خالتي من القراءة .. وقفت
وقبلت رأسها وتوجهت فوراً الى غرفة نومي .. وما

كنت أعلم في تلك اللحظة أنى أقبل خالتي لآخر مرة ..
وأنى لن أعود للنوم في تلك الحجرة مرة أخرى ..



كان ضوء القمر ينير حجرتى .. ولم أخلع
ملابسى حين تمددت على السرير منتظرا مرور الوقت
حتى أتأكد من أن خالتي قد استغرقت في النوم .
وانتظرت طويلا ..

وعندما تيقنت من أن خالتي قد نامت .. قمت
بهدوء وخلعت حذائى وحملته في يدى حتى لا أحدث
صوتا بوقع خطواتى على الأرض .. وتوجهت الى
غرفة الخزين وحصلت على شمعة كبيرة جيدة .
وتسللت بكل هدوء الى خارج البيت .

وتعمدت أن أسير في مناطق الظلال والأماكن
المظلمة على جانبى الشارع حتى لا يرانى أحد .. ولكن
قرية « مون فليت » بأكملها كانت مستغرقة في النوم ،

ولا يوجد أى أثر للضوء. ينبعث من مساكنها وبيوتها ،
عدا ذلك الضوء الخافت الذى يخرج من حانة « هواى
نوت » . واقتربت من نافذة الحانة ، وحاولت أن أرى
ما يدور بداخلها ولكنى لم أستطع أن أرى شيئا . بل
سمعت عدة أصوات تتحدث مع بعضها . ترى من
هم أصحاب هذه الأصوات وفيهم يتحدثون فى هذا
الوقت المتأخر من الليل ؟ !

وواصلت السير . حتى وصلت أخيرا الى
منطقة المقابر . وعندئذ بدأت أشعر بالخوف . لأن
هذا الوقت من الليل هو أفضل الأوقات بالنسبة لصاحب
اللمحة السوداء ، ليتجول فيه بحثا عن جوهريته .
وكنت أتوقع أن أراه أمامى فى أية لحظة . ولكن
شيئا من هذا لم يحدث ولم أقابل أحدا وليس هناك
صوت سوى وقع أقدامى على بعض الأعشاب التى
تغطى أرض منطقة المقابر . ووصلت فى النهاية الى
موقع الفتحة التى سأتسلل منها الى الممر السرى .

فى الحقيقة انى ترددت كثيرا . وأخذت أسائل

نفسى : هل أغامر بالدخول أم أعود الى البيت ..
وفجأة لاحظت فى ضوء القمر أن هناك قاربا يرسو
بالقرب من شاطئ البحر .. وكان من الغريب أن
يصل أحد القوارب الى « مون فليت » فى هذا الوقت
المتأخر من الليل ولشدة دهشتى رأيت اشارات بالنور
الازرق تنبعث من هذا القارب فى اتجاه الشاطئ .
وتأكدت عندئذ من أن هذا القارب يتبع بعض المهريين
الذين يريدون أن يبلغوا زملاء لهم على الشاطئ بأنهم
وصلوا وانهم مستعدون ..

غير انى لم أهتم كثيرا بهذا الأمر ، وعزمت على
البدء فى مهمتى التى حضرت من أجل تنفيذها وهى
الدخول الى الممر واكتشاف خباياه حتى أعثر على
الجوهره .. واستغرقت فى أحلام الغنى والثراء مرة
أخرى .

ولكنى مع ذلك لاحظت أن هناك آثار اقندام على
التراب الناعم أكثر مما رأيته فى المرة السابقة .. ترى

هل سبقنى أحد بالمجيء الى هنا وسيحصل على
الجوهره قبل أن أحصل أنا عليها ؟ !

وعلى ضوء الشمعة واصلت السير داخل الممر ..
وخيل الى أنى سرت نحو ميل أو أكثر .. ولكنى لم
أتجاوز فى حقيقة الأمر أكثر من عشرين خطوة ..
ورأيت على أحد جانبي الممر فتحة فى الحائط على
شكل باب مفتوح يودى الى حجرة داخلية .. وساءلت
نفسى ماذا عساها أن تكون هذه الحجرة .. وتذكرت
أن هذا القبر يضم مجموعة توابيت عائلة « الموهون »
ولابد أن تكون هذه الحجرة هى حجرة الدفن التى
تضم مجموعة التوابيت .. ودخلت !

كانت حجرة كبيرة أوسع كثيرا من حجرة الفصل
فى مدرستنا ولكن سقفها منخفض لا يزيد ارتفاعه على
تسعة أقدام .. وكانت أرضها مغطاة بالرمال ، وعند
أحد جوانب الحجرة رأيت بعض الدرجات .. وعلى
جميع جوانب الحجرة تراصت توابيت عائلة « الموهون »
مدفونة فى الفتحات التى أعدت لها على الجدران ..

وفى وسط الحجرة لم يكن هناك توابيت ، بل رأيت
مجموعة كبيرة من الصناديق والبراميل مختلفة الأشكال
والأحجام .. انها البضائع المهربة !!

هذا هو اذن الاكتشاف الحقيقى .. فبدلا من
العثور على جوهرة « ذى اللحية السوداء » ..
اكتشفت أن قبر عائلة « الموهون » قد أصبح مخزنا
سريا للبضائع المهربة !

الآن فقط أدركت حقيقة الأصوات التى صدرت
من تحت الأرض والتى قيل انها أصوات « الموهون »
وهم يتحركون .. لم تكن التوابيت فقط هي التى تتحرك
بفعل مياه الأمطار ، ولكن الصناديق والبراميل تحركت
أيضا وأخذت تتخبط فى بعضها ..

وأدركت أيضا أن « راتسى » و « الزفير » يعملان
فى التهريب .. وأن « راتسى » كان قد حضر الى القبر
يوم أن قابلته هناك وأبعدنى لكى يطمئن على أن فتحة

المرر سليمة خوفا من أن يكشف أحد أمرها ويعرف
سر مخزن البضائع المهرية ..



ومع ذلك فقد عاودت التفكير مسرة أخرى في
موضوع الجوهرة الثمينة وكيفية العثور عليها ..
وبدأت أفكر في توابيت عائلة « الموهون » المرصوصة
في جدران الحجرة^١ .. ففي أى تابوت ياترى أخفيت
الجوهرة الثمينة ؟ ! .. ان جميع هذه التوابيت
متشابهة الى حد كبير ولا يوجد عليها اسماء أصحابها
.. وبدأت أشعر باليأس وبأنى لن أعثر على شيء في
هذا المكان .. وفجأة سمعت جرس الكنيسة يدق اثنتى
عشرة دقة معلنا انتصاف الليل ..

كانت « مون فليت » تفخر دائما بجرس كنيستها ،
لأن رتيته كان قويا وجميلا .. ولكن صوت الجرس
وصلنى وأنا في ذلك المكان تحت الأرض بطريقة مختلفة
لم اسمعها من قبل ، فقد أصبحت لا أعرف متى بدأ

رنين الدقة ومتى انتهى ٠٠ الى ان توقف الرنين تماما
وعاد الصمت يطبق على المكان كله ٠٠

ولكن صوتا آخر بدأ يتسلل الى سمعى ٠٠ لم
أتبين فى البداية حقيقة ذلك الصوت ، ولكنى أدركت أنه
صوت اناس قادمين نحو المكان ، وسمعت أيضا حديثا
يدور بينهم ولكنى لم أتبين كلماته ٠٠

ولن استطيع أن أصف الرعب الذى أحسسته وأنا
أسمع هذه الأصوات وهى تقترب منى رويدا رويدا ٠٠
لقد تجمدت من شدة الخوف وأصبحت نصف ميت ٠٠
ومرت دقيقة واحدة بدت لى وكأنها ساعة كاملة حتى
أدركت انى وقعت مثل الثعلب فى النصيدة ٠٠ وأن
المهربين سيقبضون على لامحالة ، وسوف يلزموننى
الصمت بطريقتهم المعروفة ٠٠ وتذكرت فى هذه اللحظة
حكاية « كراكسى جونس » الذى وجد ميتا فى منطقة
المقابر وقيل انه تقابل مع « ذى اللحية السوداء » فى
تلك الليلة فقتله ٠٠

وإزداد رعبى وخوفى أضاعافا مضاعفة حين سمعت صوت دخول أحد الرجال من نفس الفتحة التى دخلت منها ، وأن هذا الرجل قد بدأ يتحدث مع آخرين يقفون خارج الفتحة ٠٠ وكان لابد أن أختفى فورا فى أى مكان بتلك الحجرة ٠٠ ولاحظت وجود تابوت خشبى ضخم مدفون فى حفرة عميقة بجدار الحجرة ، ويعلو عن أرضيتها بنحو ستة أقدام ٠٠ وأسرعت بالتسلق وأدخلت جسمى فى المساحة الضيقة التى تفصل التابوت عن جدران الحفرة ٠٠ وبسبب ضيق المكان ، اضطررت أن امدد جسمى راقدا على جانبيه ٠٠

وفى تلك اللحظات بدأ سير الرجال فى الممر ، وإخذوا يقتربون نحو الحجرة ٠٠ وبدأ ضوء الشموع التى يحملونها يتسلل الى الداخل ٠ وسمعت صوت « راتسى » وهو يقول :

— سوف أقوم بسد الفتحة بأحكام ٠٠ حتى لايعلم أحد بمكان وجودها !

فرد عليه صوت آخر :

– كن حذرا .. ولاتدع أحدا يراك أثناء قيامك
بسد الفتحة !

ولاحظت أن عدد الرجال قد ازداد .. وسمعت
أحدهم يقول :

– لقد كنت فى « دور شستر » منذ ثلاثة أيام ..
وهم يقولون هناك أن المهربين الثلاثة الذين تم القبض
عليهم سيعدمون شنقا .. وعلمت أيضا أن « ماسكيو »
كان هناك .. وأنه يصر على اعدام المهربين .. !

فقال رجل آخر :

– آه « ماسكيو » ! أتمنى أن أراه لكى أقتله !

وقال رجل ثالث :

– ليتنى أرى « ماسكيو » هذا فى ليلة مظلمة ..
سوف أنتقم منه وأرديه قتيلا !

وأخيرا سمعت صوت « الزفير » وهو يقول :

– لا ٠٠ دعوا أمر « ماسكيو » لى وحدى ٠٠ أنا
الذى سأتعامل معه وانتقم ٠٠ هل نسيتم انه قتل ابني
« دافيد » ؟!

فى تلك اللحظات أصبح الجو خانقا بداخل تلك
الحجرة بسبب أنفاس الرجال ورائحة الشموع والمصابيح
المضيئة ٠٠ ورائحة الصناديق والبراميل وما بداخلها
من بضائع مهربة ٠٠ لذلك بدأت أشعر بالمرض ٠٠
وأحسست بالم شديد فى جانبى من طول الرقاد عليه
فى مخابئ الضيق ٠٠ وفجأة سمعت اسمى يتردد على
لسان « بارميتر » وهو بحار يسكن فى الطرف الشمالى
من القرية ٠٠ قال « بارميتر » :

– هذا الصبى « جون ترنشارد » ٠٠ لقد دأب على
التجول كثيرا فى منطقة المقابر ٠٠ انه يجلس فوق
هذا القبر وينظر دائما نحو البحر ٠٠ لقد رأيته على
هذا النحو عدة مرات ٠٠ وأخشى أن يكون هذا الصبى
جاسوسا علينا ٠٠ يراقبنا ويخبر « ماسكيو »
بتحركاتنا ٠٠ !

وتدخل «جرينج» وهو فلاح من قرية «رنجستاف»
المجاورة لقرية «مون فليت» .. وأضاف قائلاً :

– نعم انت على حق .. فحين كنت مكلفا بمراقبة
بيت «ماسكيو» لاحظت أن هذا الصبي «جون
ترنشارد» يحوم كثيرا حول البيت ، وينظر كثيرا الى
الداخل بنظرات زائغة غريبة .. !

وماقاله «جرينج» كان حقا .. فقد كنت أتجول
عصر كل يوم من أيام الصيف فى الطريق الصاعد
الى أعلى التل وهو طريق مجاور تماما لبيت
«ماسكيو» .. ولكنى كنت أفعل ذلك لسببين مختلفان
تماما عما يقوله هذان الرجلان ..

السبب الأول أن النزهة فى ذلك الطريق تسعدنى
كثيرا .. والسبب الثانى هو انى كنت أتمنى أن أرى
«جريس» ابنة «ماسكيو» اثناء قيامى بتلك النزهة ..

ولذلك فكثيرا ماكنت أجلس على سور خلف حديقة
البيت لعلى امتع نظرى برؤية «جريس» وهى مرتدية

ردائها الأبيض النظيف وتبدو فى غاية الروعة ..
وأحيانا كنت اقترب من نافذة حجرتها وألوح لها بىدى
محيا .. بل وعندما علمت أن « جريس » قد مرضت ،
امتنعت عن الذهاب الى المدرسة ، ولازمت جلستى فوق
السور كل يوم ناظرا نحو غرفتها التى ترقد فيها
مريضة ..

ولذلك فمن الصحيح انى كنت أراقب بالفعل بيت
« ماسكيو » .. ولكنى لم اخبر « ماسكيو » بأى
شئ ..

وهنا بدا « راتسى » يتكلم فى صالحي :

— لا .. لا .. ان « جون ترنشارد » ولد طيب ..
وقد أخبرنى انه يحب الذهاب الى منطقة المقابر حتى
يمكن من أن يرى البحر .. لأنه يحب البحر حبا جما
ويتمتع بمنظره .

ولشدة دهشتى تدخل « الزفير » قائلا :

— ان « جون ترنشارد » ولد شجاع .. وكـم

أتمنى ان يكون ابنا لى ٠٠ انه فى مثل عمر « دافيد
٠٠ وأنا أتوقع أن يصبح بحارا ماهرا فى المستقبل

أسعدتني هذه الكلمات البسيطة التى قالها
« الزفير » عنى ٠٠ وكان من الواضح انه كان يقول
هذه الكلمات بكل صدق ٠٠ وفى حقيقة الأمر فقد كنت
معجبا بشخصية « الزفير » وكنت أحبه ٠٠ وحرزنت
كثيرا عندما فقد ابنه ٠٠ وأوشكت أن انهض من
مخباى وأقول بأعلى صوتى : هأنذا ٠٠ جون ترنشارد
بنفسه !

ولكنى استبعدت هذه الفكرة الغبية من ذهنى
وواصلت الاختباء راقدا على جانبى ٠٠ وبعد أن فرغ
الرجال من وضع الصناديق والبراميل التى احضروها
بداخل الحجرة ، جلسوا على الأرض ، وبدأ « جريننج »
فى الغناء ٠٠ ولكن « الزفير » أسكته على الفور وقال :

– الزم الصمت ايها المجنون ٠٠ انك تصمم
ضوضاء يمكنها أن توقظ أهل القرية !

واضاف « راتسى » :-

- واذا استيقظ اهل القرية فسوف يعتقدون انهم
يسمعون صوت « ذى اللحية السوداء » وهو ينادى على
الموتى من عائلة « الموهون » .. ويطلب منهم مساعدته
فى البحث عن جوهرة المفقودة !

ومن حديث هؤلاء الرجال تبين لى بسهولة ان
« الزفير » هو قائد هذه المجموعة وكبيرهم .. وبعد
مرور فترة صمت قصيرة ، سمعت احد الرجال يقول :

- هيا بنا نذهب .. فقد تأخر الوقت .. وعلينا
ان نعود الآن الى السفينة !

الفصل الخامس

سجين داخل القبر

أنصرف الزجال وخرجوا من الحجرة واحدا تلو آخر ٠٠ وسمعت وقع اقدامهم وهم يعبرون الممر ليخرجوا من الفتحة الموجودة في اخره ٠٠ وأصبحت وحدى فى تلك الحجرة المملوءة بتوابيت الموتى وصناديق وبراميل البضائع المهربة ٠٠ وظل الرجال يتحدثون لفترة طويلة فى كيفية سد الفتحة وحجبها عن الانتظار بعد الخروج منها ٠٠ وبالرغم من أن الرجال كانوا يتحدثون خارج الحجرة وبالقرب من نهاية الممر ، الا انى خشيت أن أخرج من مخبأى ، خوفا من أن

يعود أحدهم الى الحجرة لسبب أو لآخر .. وانتظرت
الى ان اختفت الاصوات تماما ..

وبدأت اتحرك محاولا الخروج من حفرة التابوت
المحفورة بأعلى جدار الحجرة .. ولكن تبين لى أن
الخروج من تلك الحفرة كان أصعب كثيرا من الدخول
اليها .. فالتابوت الخشبي الضخم الذي كان موضوعا
بداخل تلك الحفرة كان قديما وتآكلت أخشابه بمرور
الزمن وكادت أن تتحول الى تراب هش .. وكان من
المستحيل أن أصعد فوقه لأساعد نفسي فى الخروج من
الحفرة ..

كنت قد أشعلت شمعتى لأوفر ضوءا كافيا أرى فيه
أين أضع قدمى .. وفجأة سقطت الشمعة من يدي
ووقعت على أرض الحجرة ، وبدأت انا نفسى فى
السقوط وراءها .. وفى لمح البصر مددت يدي لأمسك
بأى شىء يمنع سقوطى ، وحاولت الإمساك بأعلى
التابوت الخشبي ولكنه تحطم وسقطت فى النهاية على
الأرض وسط عاصفة من التراب وقطع من الخشب

المهش المتآكل ، ولكنى أحسست باتى أمضك شيئاً فى
يدى ٠٠ !!

وعثرت على شمعتى وأشعلتها ٠٠ وفى الضوء
عرفت أن هذا الشيء الذى أمسكه فى يدى عبارة عن
علبة صغيرة مصنوعة من الفضة التى يغطيها تراب
الزمن ٠٠ ويبدو أن تلك العلبة كانت معلقة بربقة جثة
« جون موهون » صاحب اللحية السوداء المدفونة بداخل
التابوت المتآكل ٠٠ ومن المؤكد أذن أنها تحتوى على
الجوهر الثمينة !

ونفضت التراب المتراكم على سطح العلبة وحاولت
فتحها إلا أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل فى البداية
٠٠ فحاولت مرة أخرى وأخذت أضغط عليها بأصابعى
الى أن انفتحت فى النهاية ٠٠

لم تكن هناك جوهر ولا أية ماسة أخرى صغيرة
أو كبيرة ٠٠ ولم أجد بداخل العلبة الفضية إلا قطعة
صغيرة من الورق عليها بعض الكتابات ٠٠ وعادنى

الأمل مرة أخرى وقلت لنفسي ربما تتضمن تلك الورقة
خطة توضح المكان الذي أخفيت فيه الجوهرة • وقربت
الشمعة وبدأت اقرأ الكلمات التالية :

- .. قد يعيش الرجل ثمانين عاما ..
- .. يمشى قدما قدما تحت سيل الدموع ..
- .. فاشرب من بئر السعادة ..
- .. لأن الموت سيأتي حتما ..
- .. من جهة الشمال أو الجنوب ..

« جون موهون »

وبعد قراءة هذه الكلمات الفارغة ، تبذرت كل
أحلامي وأمالى فى العثور على الجوهرة الثمينة ..
فهذه الكلمات التى كنت أظن أنها تتضمن خطة محكمة
تبين المكان السرى الذى أخفيت فيه الجوهرة، لاتشير الى
أى شىء من ذلك ، بل تشير الى نصيحة جوفاء لكى
يسعى الانسان الى تحقيق السعادة لأن الموت سينهى



ونظرت الى مافي يدي ..

حياته ان عاجلا أو جلا ، حتى ولو عاش ثمانين
عاما ..

ولم يعد هناك أى حبر لوجودى فى هذا المكان ،
وعلى أن أعود الى البيت قبل أن يظهر نور الصباح ..
وهكذا علقت الحنية الفضية حول رقبتى .. وبدأت
السير بخطوات ثقيلة واتجهت نحو الفتحة التى دخلت
منها والموجودة فى نهاية الممر .. وفوجئت بأن الفتحة
قد سدت بأحكام .. !!

توقعت فى البداية أن هذه المشكلة يمكن حلها
بسهولة ، وما على إلا أن أزيح طبقة الملاط التى تحيط
بالحجر الذى يسد الفتحة ثم أزحزح الحجر وأصعد
الى الخارج .. وعندما بدأت فى ازاحة الملاط بأصابعى
وجدت أن الأمر صعب للغاية وقد يستغرق زمتنا طويلا
.. فمن الواضح أن « راتسى » قد نفذ عمله بطريقة
جيدة كما وضع فوق الفتحة ركاما من كسرات الأحجار
من بقايا القبور القديمة .

فى تلك الاثناء بدأ نور شمعتى يتضاءل ويخبو
رويدا ٠٠ ثم اختفى نهائيا وحل ظلام دامس ٠٠ ولم
يكن هناك حل سوى أن انتظر حلول الصبح حيث
يتسرب ضوء النهار خلال كسرات الأحجار ، فتمكن
هندئذ من مواصلة ازاحة الملاط وزحزحة الحجر ٠٠
ونظرا لأنى أصبحت أحس بقرصة الجوع وبشدة التعب
والارهاق ٠٠ لذلك فقد جلست على الأرض ، واستغرقت
فى النوم ٠٠ !



ولا أدري كم مر على من الوقت مستغرقا فى هذا
النوم ٠٠ ولكنى عندما استيقظت ، لاحظت على الفور
أن المكان لم يزل مظلما ، عدا بعض شعاعات خافتة
وضئيلة تتسرب خلال كسرات الأحجار الصغيرة ٠٠
وكانت شعاعات حمراء من نور الشمس الفسارية ٠٠
ويلى ! ٠٠ يبدو أنى استغرقت فى النوم لمدة نهار كامل
٠٠ وكانت هذه النتيجة مفاجأة كاملة ٠٠ بل مفاجأة
محزنة ٠٠ ان معنى ذلك أن على أن أقضى ليلة أخرى

سجيناً فى هذه المقبرة على أن انتظر نور الصباح فى
اليوم التالى ..

وبالرغم من شدة اليأس واحساسى بالجوع
والعطش ، فقد حاولت فى الظلام أن افعل شيئاً ..
وحاولت لمدة تزيد على ساعة كاملة أن اخربش فى
الملاط وزحزحة الحجر .. وضاع كل هذا الجهد دون
حدوى .. ولم اصل الى أية نتيجة سوى انى أجهدت
نفسى وجرحت أصابعى ..

واضطرت الى الجلوس على الأرض لأحصل على
بعض الراحة .. ورأيت آخر شعاع من الضوء الأحمر
وهو يتوارى ويختفى .. وعاد الظلام دامساً مرة
أخرى .. فرقدت على الأرض ووضعيت ذراعى فوق
عينى المغمضتين حتى لا أشعر بمدى كثافة الظلام فى
سجنى بتلك المقبرة ..

وبعد فترة طويلة فزعت واقفاً .. وأخذت أنادى
بأعلى صوتى : يامستر جلىنى .. ياراتسى .. ياالزفير
.. تعالوا وانقذونى من هذا السجن المظلم .. !!

ولكن كل هذه النداءات ضاعت عبثا ولم يسمعها
أحد ٠٠ فعادت محاولاتي في خربشة الملائم وزحزحة
الحجر ٠٠ واستمرت محاولاتي عدة ساعات الى أن
ارتيمت على الأرض من شدة التعب واستغرقت في النوم
مرة أخرى ٠٠

وبعد عدة ساعات تنبّهت الى شعاعات من ضوء
النهار تتسرب خلال كسرات الحجر ٠٠ فنهضت
متثاقلا وعادت محاولاتي المجهدة ٠٠ وفجأة شعرت
بظلام من نوع آخر ٠٠ كما لو كانت عيناى مغلقتين ٠٠
وكان رأسى تلف وتدور ٠٠ وتدور ٠٠ وسقطت على
الأرض مغشيا على ٠٠ !

الفصل السادس

في حانة ((هواى نوت)) . .

وعندما عدت الى وعيى . . وجدت نفسى راقدا
فوق سرير نظيف . . وكان نور الشمس يغمر الحجرة
ويسطع مبهرا خارج النافذة . . آه . . هاهو نـسـور
الشمس العظيم الذى طالما تمنيت أن أراه مرة أخرى . .
وحمدت الله على هذه النعمة المتمثلة فى نور الشمس .

خيل الى انى راقدا فى حجرتى بيت خالتي . . وانى
حلمت حلما مفزعا عن المهريين وعن السجن فى مقبرة
مظلمة مغلقة . . وهممت بالقيام من الفراش ولكنى
ارتعيت على ظهري مرة أخرى ولم استطع التصبر

وشعرت بانى ضعيف جدا ومريض .. واحسست بشيء
ما معلق برقبتى ، فمددت يدى لأتحسسه ، ففوجئت بأن
هذا الشيء هو العلبة الفضية التى كانت معلقة حول
رقبة «جون موهون» صاحب اللحية السوداء والتى
عثرت عليها مصادفة فى تابوته .. الموضوع اذن لم
يكن حلما مفزعا بل كان حقيقة واقعة .. !

فى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ودخل « الزفير
بلوك » فرفعت يدى وصحت متدهشا :

— الزفير .. الزفير .. انقذنى .. انقذنى
أرجوك .. !!

تقدم « الزفير » نحوى .. ووضع يده الحنون فوق
راسى ، وقال بصوت خفيض كله حنان وشفقة :

— اهدأ يابنى .. انت فى امان هنا ولن يضرك
شيء .. اشرب هذا .. !

وا طانى كوبا من اللبن الساخن .. أخذت أشربه
على مهل .. واخبرنى « الزفير » بانى الآن فى حانة

« هواى نوت » .. ولم يضيف أية تفاصيل أخرى ..
وطلب منى أن أهدأ وأواصل النوم .. ووعدنى بأن
أعرف التفاصيل فيما بعد .

ومرت نحو عشرة أيام أو ربما أكثر من ذلك قبل
أن استرد وعيى تماما واستعيد صحتى وقواى .. وكان
« الزفير » يقوم بتمريضى وخدمتى طول الوقت وكأنه
أم عطوف رحيمة ترعى طفلها المريض ..



كان « المستر جلينى » هو أول من لاحظ تغييى عن
الحضور الى المدرسة ، فظن أنسى مريض .. وذهب
الى بيت خالتى ليطمئن على .. ولكن خالتى أخبرته
بأنى قد هربت ولا تعرف أين ذهبت .. وعندما التقى
« مستر جلينى » مع « راتسى » سأله عنى فلم يخبره
« راتسى » بشئ لأنه لايعرف شيئاً ..

ولكن « جريننج » حضر الى حانة « هواى نوت »
وقال انه سمع صوتا يشبه النداء كان يصدر من مقبرة

« الموهون » وبرر ذلك بأنه صوت ذى اللحية السوداء
الذى يصيح وهو يبحث عن جوهرة الضائعة ..

« الزفير » وحده هو الذى استنتج ان شخصا ما
محبوس داخل المقبرة ولم يستطع الخروج منها بعد ان
قاموا بسد الفتحة .. ولذلك فقد اصطحب « راتسى »
معه ، وذهب الاثنان الى المقبرة .. وهناك وجدانى
راقدا على الأرض شبه ميت .

وكان « الزفير » واثقا تماما من انى لن أخبر أحدا
بسر المخزن والبضائع .. أما « راتسى » الذى كان
يتردد ليطمئن على بين حين وخر فقد كان يقول :

— جون .. لا أحد يعرف اننى انا و « الزفير »
فقط قد عثرنا عليك بالمقبرة .. وانك تعرف الآن سر
المخزن وما فيه من بضائع .. احتفظ بهذا السر
لنفسك ياجون ولا تخبر به أحدا ايا كان !

وعندما استعدت تماما قواى وعافيتى .. ذهبت
الى بيت خالتي التي كانت غاضبة منى الى اقصى حد ،
فلم تستمع الى كلمة واحدة ، بل أخذت تكدرنى وتوجه
الى كلمات قاسية .. تماما مثل الكلمات العنيفة
القاسية التي وجهتها الى « راتسى » حين جاء ليخبرها
عن مرضى ومكان وجودى بحانة « هواى نوت » ..
وبالرغم من علمها بالمكان الذي أرقد فيه مريضا فانها
لم تذهب الى الحانة لتزورنى أو تطمئن على صحتى ..

وطردتنى خالتي من بيتها وهى تقول :

— اذهب الى حيث كنت .. لعل الحانة تنفك

وهكذا خرجت مطرودا من البيت الوحيد الذى
أوانى .. واغرورقت عيناي بدموع غزيرة .

وذهبت الى حانة « هواى نوت » .. وأخبرت
« الزفير » بما جرى .. فبدا عليه السرور وقال بعطف :

— ليكن .. تعال وعش معى فى الحانة ..
ستكون خير بديل لابنى « دافيد » ! ..

ومكذا انتقلت لأعيش في الحانة • وقامت
بخالتي بارسال حقيبة وضعت فيها كل ملابسى
ومتعلقاتى ••

ومر وقت طويل •• واستقرت حياتى مع « الزفير »
في الحانة •• وفي كل صباح كنت اذهب الى المدرسة
•• وامضى اوقات مابعد الظهر فى صيد الأسماك او
فى اداء بعض أعمال الحديقة ••

وفى بعض الأحيان كنت أطلب منه أن اشترك معى
فى أعمال تهريب البضائع •• ولكنه كان يطلب منى أن
انتظر لأنى مازلت صغير السن •• ومع اصرارى
على الرغبة فى مشاركته فى هذه الأعمال •• اتاح
لى « الزفير » فرصة الذهاب فى السفن والقوارب التى
تقوم بنقل البضائع المهربة من البحر الى « الشاطئ » ••
ومع ذلك فلم أجسر على الذهاب الى مقبرة « الموهون »
مرة أخرى •

وطول الوقت كنت أعلق حول رقبتى رياطا تتدلى

نه علية « جون موهون » الفضية بعد أن قمت بتنظيفها
تلميعها ٠٠ وكثيرا ماكنت اجلس مع « الزفير »
نحاول معا أن نفهم شيئا مما تشير اليه الكلمات
لكتوبة على الورقة الصغيرة التي مازلت احتفظ بها
اخذ العلية ٠٠ !

الفصل السابع

سقوط الدبوس

فى بداية الربيع وصل الى « مون فليت » رجل جاء من « دورشستر » وعلق على باب حانة « هواى نوت » ورقة كبيرة كتب عليها بحروف واضحة أن موظفا كبيرا تابعا للملك سيزور « مون فليت » بعد سبعة أيام .

وكان هذا الموظف الكبير على درجة عالية من الأهمية . . وهو يحضر الى قرية « مون فليت » مرة واحدة كل خمس سنوات ليقوم بالتفتيش على املاك الملك . ولم يكن الملك يملك شيئًا فى « مون فليت » سوى

حانة « هواى نوت » أما بقية الأراضى الواقعة فى
زمام القرية فقد كانت مملوكة لعائلة « الموهون » ..
ومع ذلك فقد كان هذا الموظف الكبير يحضر الى القرية
ليعمل مزادا على تأجير الحانة لمدة خمس سنوات
تالية .

وكان « الزفير بلوك » يدير هذه الحانة منذ زمن
طويل .. وفى كل مرة كان يحضر فيها الموظف الكبير
ليقيم المزاد ، كان المزاد يرسو عليه ويتولى « الزفير »
ادارة الحانة لخمس سنوات تالية .

وفى اليوم الموعود رأيت الموظف الكبير راكبا
حصانه ويسير فى الشارع الرئيسى بالقرية .. فأسرعت
بإبلاغ « الزفير » الذى طلب منى أن أذهب الى بيت
خالتي وأطلب منها أن تعطينى « شمعة » .. وكانت
قد مرت فترة طويلة منذ أن طردتنى خالتي من بيتها ..
ومنذ ذلك الحين لم أذهب الى بيت خالتي أبدا .. ومع
ذلك فقد أعطتنى خالتي الشمعة التى طلبتها وهى تقول

انها تأمل أن تبعث هذه الشمعة بعض الضوء فى قلبى
المظلم ٠٠ !

وعندما عدت الى الحانة ، رأيت حسان الموظف
الكبير مربوطا خارج بابها ، وقد تجمع بعض الناس من
أهالى القرية ٠٠ وفى الداخل رأيت الموظف الكبير
جالسا الى المنضدة الرئيسية وأمامه وجبة جيدة
من الطعام أعدما له « الزفير » وقدمها اليه ٠٠

وأعطيت « الزفير » الشمعة التى طلبها منى
فوضعها فى منتصف المنضدة ٠٠ وهنا قام الموظف
الكبير برشق دبوس على بعد بوصة واحدة من أعلى
الشمعة !

وكانت طريقة المزاد تتيح لأى شخص أن يدخل
المزاد ويعرض مبلغا أكبر من المبلغ الذى يعرضه المزايد
الأخير ٠٠ ويظل المزاد قائما طالما ان الدبوس المرشوق
فى جسم الشمعة موجودا فى مكانه ٠٠ وتظل الشمعة
مشتعلة الى أن تسيح المنطقة المرشوق فيها الدبوس

ويسقط الدبوس من جسم الشمعة ، وعندئذ يرسو
المزاد على آخر شخص تقدم بسعر منافس .

وما أن انتهى الموظف الكبير من تناول طعامه حتى
بدأ العمل على الفور وأشعل الشمعة . . وعرض
« الزفير » مبلغ اثني عشر جنيها كإيجار سنوي لحانة
« هواي نوت » . . وهو نفس المبلغ الذي كان يدفعه في
إيجاراته السابقة . . وجلس الجميع حول المنضدة
يتحدثون في مختلف الأحاديث بينما ظلت الشمعة
مشتعلة ، ونارها تقترب من المنطقة التي رشق فيها
الدبوس . .

وفجأة فتح باب الحانة ودخل « ماسكيو » واتجه
نحو المنضدة التي يتحلق الجميع حولها . وهنا وقف
« الزفير » وحاول أن يمنعه وقال بصوت مرتفع :

— أنت لست صديقا لي يا « مستر ماسكيو » . .
وساكون سعيدا لو أريتني ظهرك بدلا من أن تريني وجهك
. . واني امنعك من الجلوس الى هذه المائدة !



وأخذت الشمعة المشتعلة تذوب ببطء

كنت أعرف تماما ما يدور في ذهن « الزفير » في تلك اللحظة ، فقد كانت هذه المائدة بالذات هي التي مددوا عليها جثة ابنه « دافيد » بعد مقتله .. وعلى أية حال فان « ماسكيو » لم يهتم بتهديدات « الزفير » وتقدم الى الموظف الكبير وسأله :

— والآن ايها الموظف الكبير .. انى ارى نار الشمعة وقد اوشكت على الوصول الى المنطقة التي رشق فيها الدبوس .. وانى اريد أن أنتهى من عملى هنا بسرعة لأن على أن اذهب الى « بريديبورت » لاداء بعض الأعمال الأخرى .. ماهو آخر مبلغ تقدم به أى شخص فى هذا المزاد ؟ !

وشرح الموظف الكبير ماتم حتى الآن من شئون المزاد .. وقال ان « الزفير » عرض اثنى عشر جنيها كايجار سنوى للحانة .. واذا سقط الدبوس قبل أن يتقدم شخص بعرض مبلغ اعلى ، فان المزاد فى هذه الحالة سيرسو على « الزفير » باعتباره صاحب العرض الأخير ..

وبعد أن انتهى الموظف الكبير من هذا الشرح ،
طلب من « الزفير » أن يأمر بأعداد حصانه للرحيل
لأنه سينادر الحانة فور سقوط الدبوس ورسو المزاد
عليه . فامر « الزفير » على الفور بتجهيز حصان
الموظف الكبير للرحيل . وحمل الجميع في لهيب
الشمعة وهو يقترب من الدبوس . وهنا قال « ماسكيو »
بصوت مرتفع :

– انى اعرض ١٢ جنيها ايجارا سنويا لهذه
الحانة . . . !

لم يلتفت « الزفير » اليه . ولكنه قال بصوت
جهورى :

– وأنا اعرض ٢٠ جنيها .

فقال « ماسكيو » :

– وأنا اعرض ٢١ جنيها

وهكذا استمرت المزايدة بين الرجلين الى ان قال
« ماسكيو » :

– ٩١ جنيها ١٠٠

وهنا وقف الموظف الكبير مندهشا وصاح فيهما

– هل جئنتما ؟! ٠٠ ما هذا الذى يحدث ؟! ٠٠ يا
« مستر الزفير بلوك » احتفظ بنقودك ولا تغامر بها ٠٠
واذا كان هذا الجنتلمان يرغب فى ادارة هذه الحانة
مهما كان الثمن الذى سيدفعه فدعها له ٠٠ وسوف
اتيح لك الحصول على حانة « الحصان الأبيض » فى
بلدة « بريدبورت » ٠٠ وهى افضل بكثير من حانة
« هواى نوت » وتدر ربحا اكبر ٠٠

ولكن « الزفير » لم يلتفت الى ماقاله الموظف الكبير
وقال فى ثبات :

– انى اعرض ١٠٠ جنيه !

فقال « ماسكيو » على الفور :

– ١٣٠ جنيها ٠٠

واشتعلت المزايدة مرة أخرى الى ان قال «الزفير» :

— ١٩٠ جنيها ٠٠

فرد عليه « ماسكيو » :

— ٢٠٠ جنيه ٠٠

وهنا سقط الديوس من جسم الشمعة ٠٠ !

وعندما وقف « الزفير » تصورت للحظة انه سوف ينقض كالوحش الكاسر على « ماسكيو » ويقتله ٠٠ ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك وظل محتفظاً بهدوئه ولم يقل كلمة واحدة ٠٠ وعندئذ قال له الموظف الكبير وهو يضع يده فوق ذراعى :

— هاه يامستر « الزفير » ٠٠ هل تريد ان تأخذ حانة « الحصان الأبيض » فى بلدة « بريدبورت » ؟! ٠٠ ان هناك مدرسة جيدة يستطيع ابنك هذا ان يلتحق بها .

وهنا أجاب « الزفير » :

ـ اشكر لك لطفك وكرمك ٠٠ ولكنى عندما اغادر
هذا المكان فلن ادير حانة اخرى ٠٠ !

واستدار الموظف الكبير ، وشرع فى الخروج من
الحانة ٠٠ وسمعته وهو يركب حصانه وينطلق به فى
الشارع الرئيسى بالقرية ٠٠

أما « الزفير » فقد ظل جالسا الى المائدة واضعا
رأسه بين يديه ٠٠ !

الفصل الثامن

شخص يتصنت بالباب ..

تلقى « ماسكيو » نظرات غاضبة من جميع رجال القرية ووجهت اليه النساء كلمات قاسية حين كان يسير في الشارع الرئيسي بالقرية عصر هذا اليوم .. لقد غضب الجميع عندما علموا بما فعله في المزاد ..

ولعدة أيام قالية ، لم يجسر « ماسكيو » على السير في هذا الشارع .. وقال بعض الرجال الذين كانوا يراقبونه انه سافر الى « واي ماوث » ليقابل « رجال الضرائب » .. وانه طلب منهم ان يرسلوا

فرقة منهم الى « مون فليت » حتى يقبضوا على المهربين
فى اول عملية يقومون بها ..

وعندما وصلت هذه الأخبار الى اسماع « الزفير »
قرر أن من الأفضل التوقف عن عمليات التهريب لفترة
حتى ينجلى الأمر .. ومع ذلك ففى مساء أحد الأيام
أخبرنى « الزفير » بأن شحنة من البضائع قد وصلت
وأن علينا أن نستلمها ..

وقال « الزفير » وهو يشرح تفاصيل العملية :

— وصلتنى أخبار بأن الرجال لا يستطيعون
الاحتفاظ بتلك البضائع فى بلدة « سان مالو » لفترة
أطول من ذلك .. ونظرا لأن « ماسكيو » أصبح الآن
يراقب جميع التحركات .. فلن أستطيع احضار هذه
البضائع الى « مون فليت » ولن أستطيع بالتالى
إخفاءها فى المخزن السرى بمقبرة « الموهسون » ..
ولهذا فقد أبلغت السفينة « بون أدفنشر » التى تحمل
هذه البضائع أن تتوجه شمالا الى منطقة تسمى « كهف

بيجروف « وهى منطقة تقع بالقرب من « رأس هور »
٠٠ وكان الرجال يستخدمون هذا الكهف لفترة طويلة
قبل أن نستخدم المخزن السرى بمقبرة « الموهون » ٠٠
يمكننا أن نخفى البضائع فى ذلك الكهف لفترة ٠٠
وعلينا أن نرحل الى « رأس هور » حتى نصل اليها فى
الساعة الخامسة من صباح الغد ٠٠ انى أود أن
نصل قبل ذلك لأن الشمس تشرق فى الساعة الخامسة
٠٠ ولكن السفينة لن تستطيع الوصول الى هناك قبل
الخامسة ٠٠

فى تلك اللحظة بالضبط شعرت بلفحة من الهواء
البارد تهب على ظهري ٠٠ فالتفت الى الخلف لأرى
ما اذا كانت النافذة مفتوحة وتسرب منها هذا الهواء
البارد ، ولكنى رأيت النافذة مغلقة ٠٠ فلا بد أن الهواء
قد تسرب من الباب بعد أن فتح ٠٠ وقمت على الفور
واتجهت نحو الباب فوجدته مغلقا ، ولكنى شككت فى
الأمر وفتحت الباب بسرعة وخرجت الى الشارع فلم
أتمكن من رؤية أى شىء فى الظلام لأن الليلة كانت غير

ان نسير على شاطئ البحر لنبحث عن بيت صغير
يكون بالقرب من منطقة « كهف بيجروف » التى تقع
بالقرب من البحر ٠٠ ان هذا الكهف يصلح تماما لاختفاء
بضائعنا ٠٠ لقد كان المهربون يستعملونه منذ مئات
السنين ٠٠ !

ولم اقل شيئا ٠٠ ولزمت الصمت ٠٠ وبالرغم من
انى قد سمعت جميع كلمات « الزفير » كلمة كلمة ٠٠ الا
ان ذهنى كان سارحا فى اشياء اخرى ٠٠ وعندئذ قال
« الزفير » :

— يبدو انك متعب قليلا يا جون ٠٠ هيا اذهب
ونم على سريرك بعض الوقت !

وبالفعل كنت متعبا لأسباب أخرى تطير النوم من
عينى ٠٠ كنت حزينا لاضطرارى الى مغادرة « مون
فليت » وبالتالى فراق « جريس ماسكيو » التى أحببتها
من كل قلبى ٠٠ والتى كثيرا ماكنت أقابلها وهى تتجول

بداخل الحانة .. واعتقد ان علينا ان نشعل شمعة
ونفتش جميع الحجرات حجرة حجرة ..

قال « الزفير » وهو غير مقتنع تماما :

– اعتقد ان الهواء البارد الذى هب عليك هو
الذى حرك الباب واغلقه .. ومع ذلك فلا بأس من ان
نفعل ماتقول ونشعل شمعة .. هيا .. !

ودرنا بالشمعة وفتشنا كل ركن فى الحانة ، ولم
نعثر على شىء .. فضحك « الزفير » قليلا وطلب ان
نعود الى الجلوس جوار المدفأة .. وعاد « الزفير »
حديثه قائلا :

– لم يعد امامنا سوى اسبوعين فقط حتى نغادر
هذه الحانة .. انه لأمر محزن ان تصبح أبواب هذه
الحانة موصدة فى وجهى .. لقد توارثت عائلتى حتى
ادلر هذه الحانة لأكثر من مائة سنة .. ولا استطيع
الآن ان اعمل شيئا لاستعادتها .. ولهذا فطينا فى الغد

ان نسير على شاطئ البحر لنبحث عن بيت صغير
يكون بالقرب من منطقة « كهف بيجروف » التى تقع
بالقرب من البحر ٠٠ ان هذا الكهف يصلح تماما لاختفاء
بخنائنا ٠٠ لقد كان المهربون يستعملونه منذ مئات
السنين ٠٠ !

ولم اقل شيئا ٠٠ ولزمت الصمت ٠٠ وبالرغم من
انى قد سمعت جميع كلمات « الزفير » كلمة كلمة ٠٠ الا
ان ذهنى كان سارحا فى اشياء اخرى ٠٠ وعندئذ قال
« الزفير » :

— يبدو انك متعب قليلا يا جون ٠٠ هيا اذهب
ونم على سريرك بعض الوقت !

وبالفعل كنت متعبا لأسباب أخرى تطير النوم من
عينى ٠٠ كنت حزينا لاضطرارى الى مغادرة « مون
فليت » وبالتالى فراق « جريس ماسكيو » التى أحببتها
من كل قلبى ٠٠ والتى كثيرا ماكنت أقابلها وهى تتجول

فى « غابة مانور » القرية من بيتها . . وكنا نتجول
سويا حين يكون أبوها غائبا عن البيت . . والحقيقة
انى أخبرت « جريس » بكل شىء . . لأنى كنت أثق
فيها ثقة لاحد لها . . وأعلم تماما انها لايمكن أن تبوح
بأسرارى لأى أحد كان حتى لأبيها . . أخبرتها عن
الممر السرى والمخزن وعن أعمال تهريب البضائع التى
نقوم بها . . وعندما أخبرتها بكل هذه الأسرار ،
التفتت الى وقالت :

– سوف أشعل شمعة وراء زجاج نافذة حجرتى
فى كل ليالى الشتاء لعلك تراها وتستترشد بها وانت
تعمل فى البحر . .

وبالفعل نفذت « جريس » وعدما . . ولاحظ كثيرون
من البحارة أن ضوء هذه الشمعة يظهر من ناحية
البحر ، وان هذا الضوء يرشدهم عندما يقتربون من
الشاطئ ، ولذلك فقد سماه البحارة « منارة ماسكيو »
. . ولكن أحدا لايعرف السبب الحقيقى لوجود تلك

الشمعة المضيئة التي تشعلها « جريس ماسكيو » كل
ليلة .

والآن . . . تقرر أن اغادر « مون فليت » . . . وربما
لن أستطيع أن أقابل « جريس » أو أراها بعد ذلك أبدا
. . . ولهذا قررت أن أذهب في الصباح الى « غابة مانور »
القريبة من بيتها . . . لعل أراها وأخبرها بكل شيء . . . !

الفصل التاسع

« جريس ماسكيو » ..

كان اليوم التالي من الأيام التي سأتذكرها طوال حياتي .. ولن أنسى أبدا ما حدث فيه ..

في نحو الساعة العاشرة صباحا توجهت الى « غابة مانور » القريبة من بيت « جريس » .. وكان هناك ثقب على جانب التل المواجه للبيت يكفى لكى اختفى فيه عن الانظار بالرغم من انى اتمكن من رؤية كل شيء من هناك .. وظللت أرقب البيت لعلى أرى « جريس » وأنايها ..

كان الصباح مشرقا بنور الشمس الدافئة .. وكان
الهواء لطيفا يحرك براعم الاشجار وأوراقها الصغيرة
الخضراء التي أخذت تثبت على أغصانها .. ويلعب
الأعشاب وزهورها الصفراء الجميلة .. واثناء تمتعي
بهذا المنظر فتحت العلبة الفضية التي أعلقها حول
رقبتي وقرأت أول سطر في الورقة الصغيرة :

قد يعيش الرجل ثمانين عاما ...

وعندئذ بدأت أضحك على نفسي وعلى أحلامي
الغريبة الماضية .. أحلامي عن العثور على جواهر
وعلى صناديق مملوءة بالذهب .. وعن الجوهرة
الشمينة التي خباها « جون موهسون » ذو اللحية
السوداء في مكان ما .. !

لن اكتب هنا كل ما دار من أحاديث بيني وبين
« جريس » عندما تقابلنا .. وسوف أشير فقط الى

ماقالته « جريس » عن حزنها بسبب مغادرة « الزفير »
لحانته وابتعاده عن « مون فليت » .. وعن حزنها
الأكبر لأنى سوف أفارقها وابتعد .. ولم تتكلم « جريس »
بأى شىء ضد أبيها ، ولكنى لاحظت مدى الألم الذى
سببه لها تصرف أبيها ضد « الزفير » ..

والحقيقة أن الحزن الذى أبدته « جريس » على
هذا النحو كان من أسباب سعادتى .. لأنى تأكدت
الآن من أنها تحزن لفراقى .. ولأنى أصبحت ذا
أهمية عندها .. وبعد فترة بدأت « جريس » تقول
بعض الأخبار عن أبيها ..

قالت انه فى التاسعة من مساء أمس وهو نفس
الوقت الذى كنت أجلس فيه مع « الزفير » لنتحدث جوار
المدفأة .. قام أبوها من مقعده .. وقال انه سوف
يخرج من البيت ليقتنزه قليلا فى الحديقة .. وكان
هذا أمرا غريبا لأن الليلة كانت باردة .. وبعد نحو
ساعة من غيابه خارج البيت ، عاد مسرعا وقال ان عليه
أن يسافر الى « واى ماوث » الآن فورا .. وانه من

المحتمل أن يغيب هناك نحو يومين • وليس معطفه
وقبعتة وانصرف ••

كانت « جريس » مندهشة وهي تحكى لى كل هذه
الأخبار •• ولكنى بدأت أخاف وأفكر فى الأمر بجنية
•• ترى ما الذى دفع « ماسكيو » ليتصرف على هذا
النحو ويسافر الى « واى ماوث » بكل هذه السرعة ؟!

وأخيرا أخبرتنى « جريس » بأن الوقت قد تأخر
وحان موعد عودتها الى بيتها •• وودعتنى ••

وانصرفت أخذا طريقى الى حانة « هواى نوت »
•• والحزن يملأ قلبى •• وبالرغم من أنى لم أكن أعرف
شيئا عما يخبئه لى المستقبل ، الا انى أحسست بأننى
سأتعرض من الآن الى الكثير من المتاعب •• !



الفصل العاشر

القبض على ((ماسكيو)) . .

غادرنا - أنا و « الزفير » - حانة « هواى نوت » قبل الموعد الذى حددته « الزفير » من قبل . ذلك لأن أخبارا وصلتته من بحارة السفينة « بون أدفنشر » بأن باستطاعتهم الوصول قبل الموعد الذى حددوه من قبل بنحو ساعتين . . وعلى هذا فقد غادرنا « مون فليت » ووصلنا الى أعلى التل المجاور لها فى نحو السابعة مساء . . ومن هناك بدأنا رحلتنا الى « رأس هور » التى تبعد عن هذا التل بنحو خمسة عشر ميلا . .

وحل علينا الظلام بعد مسيرة حوالى نصف ساعة

٠٠ ولكن الليلة لم تكن مظلمة تماما مثل ليلة أمس
فقد كانت السماء صافية وكان الهواء لطيفا ودافئا ٠٠
وواصلنا رحلتنا في صمت ، ورأينا عدة علامات
بيضاء على الطريق ٠٠ وهي علامات وضعها « رجال
الضرائب » ٠٠ وأخيرا وصلنا الى مكان واسع
تغطيه الأعشاب ٠٠ وعلمت من « الزفير » أن هذا المكان
هو قمة « رأس هور » ٠٠

وتعتبر « رأس هور » أعلى نقطة على طول
الساحل ٠٠ وكان جانبها المواجه للبحر عبارة عن
تكوين صخري شديد الانحدار ، بل ويكاد يكون عموديا
على مياه البحر وأمواجه الصاخبة ٠٠ وكان هناك
طريق ضيق جدا ووعر جدا يلف حول هذا التكوين
الصخري من جانب الى جانب ٠٠ وهو طريق منحدر
هابين قمة الرأس وأرض الشاطئ .

واستغرق هبوطنا عبر هذا الطريق نحو ربع ساعة
حتى وصلنا في النهاية الى أرض الشاطئ .

ولم نكن وحدنا هناك .. كان هناك نحو عشرين
رجلا في انتظارنا .. كان بعضهم يقف على الرمال ..
وبعضهم الآخر يجلس فوق الصخور .. كما كان بعض
منهم فوق ظهور الخيل .. وكانوا جميعا يتحدثون
بأصوات خفيفة ..

جلست على الأرض لشدة إحساسي بالتعب
والإرهاق .. وبعد لحظة رأيت « راتسى » قادمة نحوى
وقال :

– أهلا يا جون .. انت و « الزفير » ستغادران
« مون فليت » وتتركاني وحدى .. كثيرا ما فكرت فى
أن أرحل أنا أيضا .. ولكنى لا أعرف من ذا الذى
سيعتنى بالقبور من بعدى !

قلت وأنا الغالب رغبتى فى النوم :

– لا تقلق .. فسوف يجدون شخصا آخر يحل
مكانك .

ومع ذلك فقد ظل « راتسى » يواصل حديثه ، وتكلم
فى موضوعات عدة ولكنى لم اقبله الى اغلبها لأنى
كنت شبه نائم .. وأخيرا أطلقت الصيحة المتفق عليها
كإشارة للتحرك .. فقام جميع الرجال وساروا تجاه
الشاطئ .. وعندما وصلنا الى هناك كان أول
القوارب قد وصل الى الشاطئ وسمعت وقع أقدام
البحارة وهم يخوضون مياه البحر جوار الشاطئ
ليربطوا قواربهم .. ثم بدأ العمل بهمة ، وأخذ الرجال
يتحركون مابين القوارب وأرض الشاطئ يحملون
البضائع الى البر ، ثم يحملونها فوق ظهور الخيل ،
وكانت هذه العمليات تتم فى أضواء صفراء خافتة
تصدر من مصابيح صغيرة يحملها الرجال ..

وبعد نحو ساعتين انزلت آخر قطعة من البضاعة
الى البر ، وبدأ الرجال يعدون الخيول المحملة بالبضائع
للرحيل ، وحمل رجال آخرون بعض الصناديق والبراميل
على ظهورهم ، وبدأ الجميع فى التحرك نحو الطريق
الضيق المنحدر الذى يصل بين أرض الشاطئ وقمة
« رأس هور » العالية .

وما أن وصلنا الى بداية هذا الطريق الصاعد ،
حتى رأيت شيئاً ما يتحرك خلف احدى الاشجار ..
ورأى بعض الرجال مارأيت .. وحدث صياح وهرج
.. وانزل الرجال ماكانوايحملونه من بضائع وأخذوا
يجرون نحو الشجرة .. وفي الحال ظهر خلف الشجرة
شخص ما انطلق يجرى هاربا بأقصى مايستطيعه من
سرعة .. وكان « دامن » و « جاريت » أقرب رجلين
للرجل الهارب .. وانطلقا خلفه بخطوات أسرع
وأقوى ..

وفوجئت بأن الرجل الهارب هو « ماسـكيو »
بعينه .. وعرفت أنه يجرى هربا من الموت .. ان
الامساك به هو نهايته المحتومة .. ولذلك فقد بذل جهدا
جبارا فى الجرى .. ولكن « دامن » و « جاريت »
كانا أسرع منه واكثر شيايا .. فلاحقا به وأمسكاه ..

ونظرت فى تلك اللحظة الى وجه « الزفير » .. بدا
وكأنه كان يتوقع حدوث خطر ما فاستعد له منذ البداية
.. لقد تحققت أمنية حياته .. وما هو « ماسكيو »

وقد وقع فى الفخ كحيوان ذليل ٠٠ وكدت أقرأ على وجه « الزفير » قرار الموت ٠٠ انتقاما من « ماسكيو » ٠٠

وتقدم « دامن » و « جاريت » وهما يمسان « ماسكيو » من ذراعيه ويدفعانه دفعا الى الأمام ٠٠ وأصابنى المنظر ببعض الاستياء ، فقد كانت هذه أول مرة أرى فيها رجلا يعامل على مثل هذا النحو من الاذلال والمهانة ٠٠ لقد فقد « ماسكيو » قبعته وتناثر شعر رأسه على وجهه الأبيض الشاحب ٠٠ وصاحت عدة أصوات غاضبة :

– اقتلوه ٠٠ !

– اشنقوه ٠٠ !

– اطلقوا عليه النار ٠٠ !

– اقذفوا به الى البحر من أعلى قمة

« رأس هور » ٠٠ !

وخلال هذا الصياح ، شاهد أحد الرجال مسدسا

فى جيب المعطف الذى كان يرتديه « ماسكيو » فتقدم

على الفور وأخرج المسدس والقاء على الأرض بجانب
قدمي « الزفير » .. وهنا انطلق صوت « الزفير » وكان
أعلى الأصوات جميعا :

— لن ينتقم منه أحد سوى .. ألا تذكرون أنسى
طلبت منكم أن تتركوا أمر هذا الرجل لى وحدى ..
لقد قتل ابني الوحيد .. وأنا وحدى الذى سأتعامل
معه وأعرف كيف انتقم .. هيا .. أوثقوا هذا الرجل
من يديه وقدميه وألقوه على الأرض هنا .. وعليكم
الآن أن تذهبوا قبل أن يظهر نور الصباح .. والوقت
ضيق .. هيا .. !

وخلال دقائق تحرك الجميع نحو الطريق المصاعد
مرة أخرى .. الخيل المحملة فى المقدمة .. وخلفها
الرجال الذين يحملون الصناديق والبراميل على
ظهورهم .. ذهب الجميع وبقي ثلاثة أشخاص فقط على
أرض الشاطئ :

« ماسكيو » و « الزفير » وأنا ..
ومسدس كان ملقيا على الأرض .. !

الفصل الحادى عشر

مصرع ((ماسكيو)) . .

فى الحقيقة انى كنت أنوى اللحاق بالرجال ، حتى
لا أبقى بهذا المكان وأرى المنظر الذى أتوقع حدوثه .
وقد انصرفت بالفعل ، ولكن « الزفير » نادانى :

– انتظر يا جون . . لا تذهب . . فقد تكون مفيدا

وطبعا توقفت وانتظرت . . وأخذت أضمن كيف
سأكون مفيدا . . وأية فائدة ترتجى منى فى مثل هذا
الموقف .

كان « ماسكيو » جالسا فوق الرمال ، وظهره

مسنود على صخرة ، ومكتوف القدمين بأحكام ، كما
أن يديه كانتا موثوقيتين خلف ظهره ٠٠ ونظرات عينيه
موجهة فى ذلة نحو الأرض ٠٠ أما وجهه فكان ناصع
البياض من شدة الشحوب ٠٠

وكان « الزفير » واقفا قبالة وهو يحمل مصباحا
خافت الضوء وينظر اليه فى احتقار شديد ٠٠ وكانت
تصل الى أسماعنا فى البداية أصوات وقع أقدام
الخيول المحملة بالبضائع الثقيلة وهى تدب فوق
صخور الطريق الصاعد ٠٠ الا أن هذه الأصوات كانت
تخف بالتدريج الى أن تلاشت تماما بعد أن انحنى
الطريق تجاه البحر ٠٠ وحل الصمت الذى يخفى
وراءه ما يخفى ٠٠ وظل « الزفير » موجهها نظراته نحو
« ماسكيو » الذى يحاول التظاهر بأنه شجاع وقوى
وقال :

— أنا موظف لخدمة القانون ٠٠ وإذا لم تفك
قيودى وتطلق سراحى فسوف أطلب بشنقك !

كانت كلماته شجاعة فعلا .. ولكنها شجاعة غير
بنيقية لأن صوته كان ضعيفا ومرتعشا ..

**وأجاب « الزفير » بثبات كما لو كان قاضيا يحاكم
بجينا :**

— لاتحدثنى عن الشنق والمشنوقين .. انك بعد
الآن لن تستطيع ان تشنق احدا .. ولن ترى بعد الآن
انسانا مشنوقا .. لقد كنت ترقب الشمعة التى رشق
فيها الديبوس فى حانة « هواى نوت » .. وانتظرت
حتى اوشك الديبوس على السقوط وضربت ضربة
راخذت الحانة منى وطردتنى من بيتى .. وسوف ترقب
فى هذا الصباح شمعة اخرى فيها ديبوس مرشوق ..
وعندما يسقط هذا الديبوس فسوف أصوب مسدسك
هذا نحو رأسك .. واقتلك كما لو كنت اتخلص من
وحش كاسر !

**وأمسك « الزفير » بشمعة ، ورشق فيها ديبوسا على
بعد بوصة من قممتها ، وأوقفها على الأرض أمام**

« ماسكيو » .. والحقيقة انى بدأت أشعر بالخوف
والاضطراب .. فانا لا أحب « ماسكيو » .. ولسو
سألونى منذ ساعة فسوف أصبح بأعلى صوتى :
« اقتلوه .. اطلقوا عليه النار ! .. ولكنى الآن أصلى
من أجله وأتمنى لو أنه يتمكن من الفرار والافلات من
هذا المصير التعس .

وبدأت الشعاعات الأولى من نور الصباح تتسلل
الى صفحة السماء من جهة الشرق .. واختفت النجوم
تماما .. ولم يظهر من الألوان غير اللون الرمادى
الذى ساد على كل شيء .. فالسما رمادية ..
والصخور رمادية .. والأشجار رمادية .. أما أكثر
الاشياء رمادية فقد كان وجه « ماسكيو » الذى تبدلت ملامحه
وظهرت خطوط داكنة تحت عينيه ، وتجمدت بعض
قطرات من الدم على جانب من وجهه اذ يبدو أنه جرح
أثناء القبض عليه .

وظل « ماسكيو » مرخيا نظره الى الأرض .. ثم
رفع عينيه وصوبهما نحوى بنظرات متوسلة .. نظرات

تدل على العجز والاستسلام .. تماما مثل نظرات
حيوان موشك على الذبح .. وحتى تلك اللحظة ، لم
أكن أرى فى « ماسكيو » أية ملامح من ابنته « جريس »
.. كما لم أكن أرى فى الابنة أية ملامح من أبيها ..
ولكن فى تلك اللحظة بالذات أحسست كأن « جريس »
نفسها تنظر الى بعيون أبيها .. وزاد هذا الاحساس
من اضطرابى وجعلنى لا أرتب فى مشاهدة ماسوف
يحدث ولا أستطيع أن أتحملة ..

وساعد الهواء على سرعة ذوبان الشمعة ..
وأخذت الشعلة تقترب من المكان الذى رشق فيه
الدبوس .. وأخذت النهاية تقترب من الأخرى مع
ذوبان الشمعة .. وكان « ماسكيو » مركزا نظرات
عينيه الآن وهو يشعر بأن حياته تذوب مع ذوبان الشمعة
قطرة قطرة .. وأخيرا بدأ « ماسكيو » يتكلم بصوت
مستعطف لا يدعى الشجاعة :

— أرجوك لا تقتلنى يا مستر « الزفير بلوك » ..
أن لدى ابنة وحيدة ليس لها عائل سوى .. فهل تحرم

هذه الابنة من أبيها وهو الشخص الوحيد الذى يرعاها
ويحميها ؟ .. انظر الى حال تلك المسكينة حين
يحملون اليها جثة أبيها غارقة فى الدماء .. !

ورد « الزفير » على هذا الاستعطاف قائلا :

– وأنا أيضا كان لى ابن وحيد .. وقد حملوا
الى جثته غارقة فى الدماء .. فمن ذا الذى قتله ؟ ..
وبأى مسدس قتل ؟ .. ألا تعسرف ؟ ! .. انه نفس
المسدس الذى ساستعمله الآن فى قصف حياتك .. هيا
أقم صلاتك وتقرب الى الله .. لم يعد أمامك سوى وقت
قصير تؤدي فيه صلواتك ..

وانحنى « الزفير » .. والتقط المسدس الملقى
على الأرض وأعدده للضرب .. وادار ظهره «لماسكيو»
وأخذ يتمشى أمامه جيئة وذهابا .. وكان عن الواضح
ان كلمات الاستعطاف التى قالها «ماسكيو» قد جعلت
« الزفير » أكثر غضبا .. لأنها ذكرت به مقتل ابنه
« دافيد » .. ولكن هذه الكلمات نفسها لمست شسفاف

قلبي ٠٠ وشجعتني على أن أتقدم الى «الزفير» وأرجوه
أن يصرف النظر عن قتل هذا الرجل ٠٠ وتركنسى
« الزفير » حتى اكملت كلامى ثم قال :

— ان لك قلبا طيبا يابنى ٠٠ وهذا ماجعلنى احبك
٠٠ ربما كنت مصرا على قتل « ماسكيو » لأنى كنت
غاضبا عليه ٠٠ ولكنى الآن فى موقف حرج للغاية ٠٠
ولا أتصور كيف أقدم على قتل رجل مكتوف اليدين
والقدمين ومستسلم على هذا النحو ، حتى ولو كان
هذا الرجل قد قتل عشرين من ابنائى ٠٠ ولكنك تعلم
أن الرجال قد تركوه لانتقم منه بنفسى ٠٠ وكانوا
سيقومون بقتله بانفسهم لولا تدخلى ٠٠ والآن اذا
أطلقت سراحه وتركته الى حال سبيله فسوف يقوم هو
بشنق الرجال جميعا ٠٠ هل يرضيك هذا ؟ ٠٠ ليس
امامى سوى أن اقتله !

وبالرغم من ذلك ، فقد واصلت رجائى « لالزفير »
وانا امسك ذراعه بين يدى واستعطفه لكى ينقذ حياة

« ماسكيو » . . ولكن يبدو أن كل هذا الرجاء كان بلا جدوى . .

أما « ماسكيو » فقد ظلت نظراته مشتتة بين الشمعة وبين أطراف قرص الشمس التي بدأت في الظهور من ناحية الشرق . . وبدأ رأس الدبوس يتحرك ببطء مع القطرات الذائبة التي أخذت تهبط به رويدا رويدا . . لقد حانت اذن لحظة النهاية وأخذ « ماسكيو » يبكي مستعظفا لانقاذ حياته . . عرض ألف جنيه . . ثم خمسة آلاف . . ثم عشرة آلاف كفدية لانقاذ حياته . . ووعد باعادة حانة « هواي نوت » الى « الزفير » . . بل وعرض أن يغادر « مون فليت » بصفة نهائية ولن يعود اليها أبدا . . وكانت الدموع تنهمر من عينيه وتسيل على خديه مع كل كلمة كان يقولها . .

ولم يستجب « الزفير » الى أى عرض من تلك العروض ، ولم يلب قلبه أمام كل هذا الاستعطاف . . بل أمسك بالمسدس وجهزه لاطلاق النار . . فاغلقت عينى ووضعت أصابعى داخل أذنى حتى لا اسمع ولا

أرى حاسوف يحدث عندما يسقط الدبوس تماما عن
جسم الشمعة ٠٠ وبعد لحظة فتحت إحدى عيني ورأيت
الدبوس وهو يسقط على الأرض ٠٠ ورأيت « الزفير »
وهو يصبوب فوهة المسدس الى رأس « ماسكيو » ٠٠
وفي لمح البصر انقضضت على « الزفير » لأمنعه من
القتل ٠٠ واشتبكت معه وأنا أحاول إبعاد المسدس من
يده ٠٠ وفي هذه الاثناء انطلق المسدس بطريقة لا
أعرفها ، وذوى صوت الطلقة في أرجاء الشاطئ ٠٠
وعندئذ توقف الاشتباك ونظرنا ناحية « ماسكيو » ٠٠
فلاحظت أن شيئا من السرور قد غمر ملامح وجهه ٠٠
وأنه يتجه بنظرات عينيه الى أعلى قمة الطريق الصاعد
٠٠ لعله كان يشكر السماء على تدخلها لانقاذه في آخر
لحظة !



ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا تماما ٠٠
فبمجرد أن دوى صوت طلقة المسدس ٠٠ سمعنا
أصوات العديد من الرجال الذين كانوا ينادون بعضهم

بعضاً ٠٠ ونظرنا نحو قمة الطريق الصاعد فرأينا نحو
عشرين جندياً من جنود الملك يحاصروننا من فوق
القمة ويصوبون أسلحتهم نحونا ٠٠

لقد فهمنا الآن ما حدث بالضبط ٠٠ فقد اتفق
« ماسكيو » مع هؤلاء الجنود على أن يهاجمونا عندما
يعطيهم إشارة من مسدسه ٠٠ وكانت الخطة أن يقبض
هؤلاء الجنود على جميع الرجال الذين اشتركوا في
عملية تهريب البضائع أثناء قيامهم بالتهريب من البحر
إلى البر ٠٠ ولكن نظراً لأن العملية قد تمت في وقت
مبكر بسبب وصول السفينة قبل موعدها فان الوقت
المتفق عليه بين « ماسكيو » والجنود لبدء الهجوم قد
تأخر بنحو ساعتين بعد اتمام عملية التهريب ٠٠

نظر « الزفير » نحو الجنود ٠٠ وصاح قائدهم :

— استسلموا ٠٠ اننا نقبض عليكم باسم الملك ٠٠

وقال « الزفير » :

– لقد ضعنا ٠٠ انهم جنود الملك فعلا ٠٠ ولكن
قبل أن نموت ، فلا بد أن يموت هذا الرجل قبلنا ٠٠ !

وتقدم الى « ماسكيو » ليضربه على رأسه بمؤخرة
المسدس ٠٠ وهنا صاح « ماسكيو » في الجنود مناديا :

– الحقونى ٠٠ اقتلوهم قبل أن يقتلونى !!

وقبل أن يصل « الزفير » الى « ماسكيو » ليضربه ،
دوى صوت الرصاص ٠٠ وهوى « ماسكيو » على
الأرض وقد استقرت رصاصة فى رأسه بين عينيه
تماما ٠٠ !!

وصاح « الزفير » :

– بسرعة ياجون ٠٠ اهرب ناحية اليسار ٠٠
والزم جانب الصخور لتستتر بها ٠٠ انهم لن يستطيعوا
اصابتنا فى تلك المنطقة ٠٠ هيا بسرعة ٠٠ !

فجريت ٠٠ وجرى « الزفير » خلفى ٠٠ ولكنى
سقطت على ركبتي فجأة ٠٠ ووجدت نفسى غير قادر

على الحركة ٠٠ وشعرت بالم شديد فى قدمى اليسرى
٠٠ وقال « الزفير » ملتاعا :

— هل أصابوك أنت أيضا ٠٠ !؟

وتقدم نحوى ٠٠ وحملنى بين ذراعيه ٠٠ ودوت
طلقات الرصاص من حولنا ٠٠ وطاشت جميع هذه
الطلقات واحدة بعد أخرى لأننا كنا محتمين خلف
الصخرة ٠٠ !

الفصل الثانى عشر

تسلق الطريق الخطر

لقد أصبحنا آمنين الى حد ما من طلقات الرصاص .. ولكن الى أى مدى يمكن أن يستمر هذا الأمان ؟ !
.. ان الجنود سيهبطون من قمة الرأس الى ارض
لشاطئه ويمكن عندئذ قتلنا أو القبض علينا بكل
سهولة .. وليس معنا أى سلاح يمكن أن ندافع به عن
نفسنا سوى مسدس خال من الرصاص .. وسألتنى
: الزفير :

لا يمكنك أن تقف على قدميك يا جون ؟ ! .. هلم
صبيت عظام قدمك .. ؟ !

قال ذلك وهو يمسك بقدمي اليسرى وحركها حركة بسيطة جدا ، ولكنها كانت كافية لأن تشعرني باللم فظي
لايطاق .. فقلت وأنا أحاول تحمل الألم :

— لا أستطيع الوقوف .. وأشعر بأن الدماء
تسيل داخل حذائي ! ..

وقال « الزفير » :

— اننا لا نستطيع ان نعالج قدمك هنا ، وليس
أمامنا سوى أن نربطها بقطعة من القماش بصفة مؤقتة حتى
نخرج من هذا الكمين .. فليس أمامنا سوى أن
من خمس عشرة دقيقة يكون الجنود قد هبطوا خلالها
من قمة الرأس حتى أرض الشاطئ .. وعندئذ
سيقبضون علينا أحياء ويشنقوننا في «دور شستر» ! ..

وبالرغم من معاناتي شدة الألم في قدمي ..
تصورت كم سأكون سعيدا لو أنسى الآن راقدا على

سريرى فى حانة « هواى نوت » او حتى جالسا بلا عمل
فى بيت خالتى .. وأحس « الزفير » بما أعانيه وقال :

– لا تفقد الأمل يا جون .. مازالت أمامنا فرصة
وحيدة يمكن أن تنقذ حياتنا .. ولكنها فرصة صعبة ..
بل وفى غاية الصعوبة .. انى أعرف أن هناك طريقا
ضيقا جدا يودى الى قمة « رأس مور » وهو طريق
وعر جدا وخطر ومن المؤكد أن الجنود لا يعرفون
وجوده .. وحتى اذا كانوا يعرفونه فلن يستطيعوا
المجازفة بالسير فيه فى حين أن لديهم الطريق المعتاد
الهابط من القمة الى أرض الشاطئ .. أما هذا
الطريق الوعر الذى أحدثك عنه فلا اعتقد أن أحدا
استخدمه من قبل فى الصعود الى قمة الرأس أو فى
الهبوط الى أرض الشاطئ .. وهو الفرصة الوحيدة
لنجاتنا .. وأرجو أن تبعد الخوف عن قلبك .. وأن
تكون على استعداد لتحمل المخاطرة فى تسلك هذا
الطريق الضيق الخطر حتى نصل الى قمة « رأس
مور » فى نفس الوقت الذى يكون الجنود قد هبطوا فيه

الى ارض الشاطئ .. وبذلك ننجو بحياتنا من هذا
الكمين .. وسوف أحملك فوق ظهري واتسلق بك ..
وعندما نصل الى بعض الأماكن الضيقة جدا والأكثر
وعورة والتي لاتسمح باجتيازهما وأنا أحملك على
ظهري ، فعليك فى هذه الحالة أن تجتازها بمساعدتى
وانت تزحف على يديك وركبتيك .. فهل أنت على
استعداد يا جون لتتحمل هذه المجازفة ؟؟ !

فقلت بلا تردد :

— طبعاً يا عزيزى « الزفير » .. وعلينا الآن فوراً
أن نحاطر بتسلق هذا الطريق الوعر .. وحتى لو
سقطنا من أعلى تلك الصخور المديبة فسوف يكون ذلك
أفضل بكثير من الوقوع فى أيدي الجنود والموت شتقاً
فى نهاية الأمر ! .. !

وهمت بالوقوف على قدمي ظلنا منى انى استطيع
السير ببطء وبقدم تعرج .. ولكنى سقطت فوراً على
الأرض وأنا أصرخ من شدة الألم .. فحملنى « الزفير »
بين ذراعيه واتجه نحو بداية الطريق الضيق الصاعد

الى أعلى بميل شديد ٠٠ ومن هناك القيت آخر نظرة
على « ماسكيو » الراقد ميتا ووجهه متجه نحو
السماء ٠٠

ووضعتني « الزفير » على الأرض ليستعد الى حملي
فوق ظهره بطريقة مريحة قبل الشروع في الصعود
وتسلق هذا الطريق المرعب الخطر ٠٠ وفي اثناء ذلك
نظرت الى أعلى وفحصت جزءا من هذا الطريق الذى
يجب علينا ان نتسلقه فأصبت بالذعر وبخوف جمد
أطرافى ٠٠ فقد كان الطريق ضيقا جدا ومائلا الى أعلى
بطريقة حادة تجعل من الصعب على المرء ان يجتازها
دون أن يسقط فى البحر ، وتسلفت الى أنفى رائحة
نتنة ٠٠ ورأيت بقايا بقرة كانت قد سقطت من أعلى
القمة ٠٠ ومن شدة احساسى بالرعب ، اقتنعت بأن
البقاء هنا والاستسلام للجنود قد يكون أفضل كثيرا
من النجاة بعد اجتياز مخاطر تسلق هذا الطريق
المستحيل ٠٠ ولذلك فقد رجوت « الزفير » أن يسرع هو
بالهرب وأن يتركنى لمصيرى هنا ٠٠ فقال « الزفير »
مشجعا :

- هيا ياجون .. ليس هناك وقت للتراجع أو
لتغيير خطتنا .. ما هي الا خمس عشرة دقيقة ونصل
الى القمة سالمين .. وعندئذ سيكون أمام الجنود
ساعة كاملة حتى يصعدوا الى قمة « رأس هور » مرة
أخرى ليعاودوا مطاردتنا .. وعندما يعثر الجنود على
جثة « ماسكيو » سيقضون وقتنا للبحث فى الأمر ،
ومعنى هذا أننا سنكسب وقتا إضافيا .. هيا ياجون ..
دعنى أحملك على ظهري .. وأغلق عينيك حتى لا ترى
أى منظر يخيفك .. ولا تفتح عينيك الا اذا طلبت منك
ذلك .. !

وحملنى « الزفير » فوق ظهره .. وأغمضت عينى
كما أمرنى .. وبدأت أشعر بوقع خطواته البطيئة وهو
يصعد هذا الطريق الضيق الوعر .. وكان من الواضح
أن « الزفير » كان يتحسس موضع قدميه وهو يتقدم
خطوة خطوة .

وبالرغم من أنى كنت مغمضا عينى ، لا أرى شيئا
.. فقد أحسست بأننا تسبقنا مرحلة لا بأس بها ..



تسلق الطريق الخطر ..

وارتفعنا الى منطقة هبوب الهواء البازد .. كما
احسست بأن خطوات « الزفير » أصبحت أكثر صعوبة
وتثاقلا .. وتكلم « الزفير » أخيرا :

- جون .. سوف اتوقف عن السير الآن ..
وسوف أضعك على الأرض بعد أن أنزلك من فوق ظهري
.. واحتفظ بعينيك مغلقتين ولا تفتحهما الآن .. ان
الطريق أصبح ضيقا جدا ووعرا جدا في هذه المنطقة
.. ولا يسمح بأن أمر وأنا أحملك فوق ظهري .. وعليك
الآن أن تزحف على يديك وركبتك حتى نتمكن من
اجتياز تلك المنطقة الضيقة .. ويمكنك أن تفتح عينيك
وانت تزحف .. ولكن ركز نظراتك على جانب الصخرة
ولا تنظر الى أسفل إطلاقا ..

وعندما فتحت عيني وجسدت أن عرض الطريق
لايزيد على قدم واحد وهي مسافة تجعل من الصعب
أن لم يكن من المستحيل أن يعبرها الانسان زحفا على
قدميه .. ولكن ليس أمامي سوى أن أزحف وأزحف ..

بالرغم من الألم الفظيع الذى كنت أعانيه وأنا أجر
قدمى المصابة ٠٠ وقال « الزفير » مشجعا :

— هيا ياجون ٠٠ أسرع قليلا ٠٠ لم يبق سوى
ان تزحف خطوة أو خطوتين ٠٠٠ ويمكننى بعد ذلك
ان احملك فوق ظهري مرة أخرى ٠٠ هيا أسرع وكن
حذرا ٠٠ !

وأخيرا ٠٠ اتسع الطريق قليلا ونجحنا فى اجتياز
المنطقة الوعرة الخطرة ٠٠ وتقدم « الزفير » وحملنى
فوق ظهره ٠٠ وواصل التسلق نحو القمة ٠٠ ولكنى
فتحت عينى فجأة ونظرت الى أسفل ورأيت منظرا مرعبا
يثير الهلع ٠٠ كانت مياه البحر الزرقاء تبدو بعيدة
جدا من هذا الارتفاع ٠٠ وكانت طيور البحر تحلق
تحقنا وكان الممر ضيقا وشديد الوعورة ، وأية زلزة
قدم معناها نهايتنا ٠٠ وتذكرت مصير البقرة المسكينة
التي سقطت من أعلى ٠ فندت عنى صرخة رعب وهلع
٠٠ فانزلنى « الزفير » من فوق ظهره ورقدت على أرض
الممر الضيقة والخوف يملأ قلبى ٠٠ وقال « الزفير » :

– تشجع ياجون .. ألم اطلب منك أن تفلسني عينيك ولا تفتحهما الا اذا سمحت لك بذلك ؟! .. لقد تسلقنا لمدة عشر دقائق كاملة ، ولم يبق امامنا سوى خمس دقائق اخرى ونصل الى نهاية هذا الطريق ..
هيا اغلق عينيك مرة اخرى .. ولا تفعل شيئا سوى ان تعد الأرقام .. واحد .. اثنين .. ثلاثة .. وهكذا حتى تنتهى من اجتياز المسافة الباقية ..

قلت يائسا :

– لا استطيع يا « الزفير » .. لا استطيع !
فنظر « الزفير » الى أسفل نحو ارض الشاطئ وقال :

– هاهم الجنود وقد هبطوا أخيرا الى ارض الشاطئ .. لقد عثروا على « ماسكيو » .. واذا بقينا هنا لمدة دقيقة اخرى فسوف يكون فى استطاعة الجنود ان يرونا ونحن فى هذا المكان .. اما اذا تقدمنا قليلا فان الطريق ينحنى ولن يتمكن الجنود من رؤيتنا ..
هيا ياجون .. تشجع !

ان العقل البشرى شىء غريب .. قالخوف الاكبر
والاخطر يتقلب على الخوف الأصغر والأقل خطورة ..
وتلاشت كل مخاوفى من اجتياز بقية الطريق الوعر ..
المرتفعة كل هذا الارتفاع الهائل .. والتي تحيط بها
الأخطار من كل جانب .. وواصلت الزحف على يدي
وركبتى .. و « الرفير » يساعدى ويشجعنى .. وبعد
خمس دقائق من العذاب .. وصلنا الى قمة الطريق ..
وارتمينا على الأرض نلتقط انفاسنا .. !



الفصل الثالث عشر

الكهف

مازلنا فى الصباح المبكر ، ولكن قرص الشمس
أخذ يصعد الى السماء ويتلألأ نوره فوق مياه البحر ..
ورقدنا على الاعشاب لنستريح قليلا بعد تسلق هذا
الطريق الوعر المخيف .. وبعد دقائق هب « الزفير »
واقفا وقال :

— هيا ياجون .. فما زالت امامنا مهمة صعبة
اخرى .. ان علينا ان نعتنى بقدمك الجريحة ونعالجها
.. وعلينا ان نغادر هذا المكان بالرغم من ان الجنود
لو صعدوا الى قمة « رأس مور » مرة اخرى ، فلن

يخطر ببالهم أننا فى هذا المكان الآمن البعيد عن الطريق
الصاعد العادى .. ولابد ان نتحرك الآن لنجد مخبأ
نختبئ فيه حتى نعالج قدمك .. وأنا أعرف مكانا
جيذا وأمنا اسمه «كهف جوزيف» وهو يبعد نحو سبعة
أميال من هنا .. وقد تستغرق الرحلة النهار كله ..
لأنى مضطر الى السير ببطء وأنا أحملك ..

وحملنى « الزفير » بين ذراعيه .. وبدأ السير
مخترقا مساحة من الحقول الواسعة .. وكان الألم فى
قدمى يشتد كل لحظة .. وأخذت حرارة الشمس تشتد
هى الأخرى .. وبدأت خطوات « الزفير » تتباطأ وتصبح
ثقيلة .. الى أن وصلنا الى بقايا حائط مهدم ، وهناك
وضعتنى « الزفير » فوقه .. وارتمت على الأرض وأعلن
انه متعب وأصبح لا يستطيع مواصلة السير .. وطلب
منى أن أظل مستيقظا وأراقب المكان .. واستغرق هو
فى النوم خلال دقائق ..

وكان الهواء يهب لطيفا دافئا ونحن محتمين بظل
بقايا الحائط .. وبدأت أقاوم النعاس .. ولكنى فشلت

٠٠ وبالرغم من انى مكلف بالحراسة ومن الواجب أن
أظل مستيقظا ، الا أن النوم غلبنى فى النهاية ٠٠

ولا أدري كم مر من الوقت ٠٠ ولكنى استيقظت
مفزوعا على صوت طلقة دوت فى مكان قريب ٠٠
وعاودنى الألم الشديد فى قدمى بعد أن سكن قليلا اثناء
نومى ٠٠ وتحركت لأوقف « الزفير » ولكنى وجدته
مستيقظا ووضع أصبعه امام فمه اشارة لى بأن اسكت
والزم الصمت دون حركة ٠٠ وزحف هو خلف الحائط
واختبأ وراء شجرة حتى يستطلع الأمر دون أن يراه
أحد ٠٠ وبعد فترة وجيزة عاد واخبرنى :

— انه ولد صغير يصطاد الطيور ببندقية ٠٠ وعلينا
الا نتحرك الا اذا جاء الصبى نحونا ٠٠ !

وبعد نحو دقيقة من المراقبة قال « الزفير » :

— هاهو الصبى قادم نحونا ٠٠ لابد أن نريه
انفسنا ٠٠

وهب « الزفير » واقفا ، ورآه الصبي ، وخاف
الصبي وبدأ يجرى .. فنادى عليه :

– هاه أيها الصبي .. ماذا تعمل هنا .. ؟!

وتوقف الصبي عن الجرى وأجاب :

– انى أصيد الطيور للفلاح « توب » ..

وسأله « الزفير » :

– هل لديك بارود كاف .. هل يمكنك أن تعطيني
بعض البارود لأنى أريد أن أصيد أرنباً برياً من أجل
عشائى .. ولكن ليس معى بارود لأحشو به
مسدسى .. !

وأجاب الغلام :

– نعم لدى قليل من البارود .. ولكنى احتاجه
لصيد الطيور .. والا سأعرض للضرب .. !

فقال « الزفير » :

– لا عليك أيها الصبي .. اعطني بعض البارود
وسوف أعطيك قطعة كبيرة من النقود ..

وأخرج « الزفير » من جيبه قطعة كبيرة من النقود
ووضعها بين أصابعه ليفرى بها الصبي الذي لمعت
عيناه حين رأى النقود التي يمكنه أن يحصل عليها ..
ولذلك فقد قال « الزفير » على الفور :

– أعطني كل ما معك من بارود وسوف أعطيك
قطعتين من هذه النقود ..

وبكل سهوله اعطى الصبي كل مامعه من البارود
الى « الزفير » .. وأخذ الصبي نقوده .. وأراد
« الزفير » أن يكمل الصفقة فقال للصبي :

– بعنى البندقية أيضا ..

وهنا رفض الصبي هذا العرض وقال :

– لا .. ان الناس يقولون ان هناك بعض المهريين

قد هربوا فى هذه المنطقة ، وأن جنود الملك يبحثون عنهم
للقبض عليهم ..

فقال « الزفير » دون تردد :

— ولهذا السبب بالذات أريد أن اشترى منك
البندقية لأدافع بها عن نفسى ضد المهربين الذين لا يمكن
أن يلحقوا بك أذى لأنك صبى صغير ولا تهمهم فى شىء
.. وسوف اعطيك قطعة ذهبية .. هاهى !

وأخرج « الزفير » من جيبه قطعة ذهبية وأعطاهما
للصبى الذى أعطاه البندقية وانصرف .

لا أدري ما الذى جعلنى لا أثق فى هذا الصبى ..
وظللت أراقبه بعد أن انصرف .. ولاحظت أنه كان
يسير متمهلاً فى البداية ثم سرعان ما أطلق ساقيه
للرياح وأخذ يجرى .. وأخبرت « الزفير » بما أفكر
فيه ، وقلت له انى أشك فى أن هذا الصبى سيذهب

ليخبر الجنود بأنسه رأى المهريين ويعرف مكانهم ..
فقال « الزفير » :

... علينا فى هذه الحالة أن نختفى من هنا فوراً
وعلينا أن نسير بأقصى سرعة .. وعلى أية حال فإن
الكهف الذى نقصده قريب من هنا .. وعلى مسافة
بسيطة .. هيا ياجون !

وحملنى « الزفير » مرة أخرى .. وانطلق مسرعاً
ولكن بحذر .. وظل محتتماً ببقايا الحائط الى أن
عبرنا منطقة الحقول ووصلنا الى أرض واسعة يغطيها
العشب وبجوارها تل منخفض يبدو انه كان محجراً فى
الماضى حيث يظهر جانبه وعليه الآثار التى تركتها
الأحجار المقطوعة .. وعند سفح هذا التل كانت هناك
بعض البيوت الصغيرة الجالية التى تركها الحجارون
الذين كانوا يعيشون فى هذه المنطقة منذ زمن مضى ..

ولاحظت أن هناك ثقباً عميقاً فى الأرض ، تؤدى
اليه بضع درجات مقطوعة فى الحجر .. ويدخل هذا
الثقب لايوجد شيء سوى ظلام دامس ..

وضعنى « الزفير » على الأرض جوار مدخل الثقب
وقال وهو يشرح لى الموقف :

— ها هو « كهف جوزيف » الذى حدثتك عنه ..
وهنا سوف نختبئ الى أن تشفى قدمك تماما .. ولن
يستطيع أحد أن يعثر علينا هنا .. أن هذا الثقب
يؤدى الى ممر طويل متعرج محفور بداخل التل .. وفى
نهاية هذا الممر يوجد كهف واسع وله مخرج على
البحر .. وفى هذا الكهف سنعيش الى أن تشفى
قدمك ..

واسترحنا لدقائق قليلة ثم حملنى « الزفير » بين
ذراعيه وبدأ يهبط بعض الدرجات داخل الثقب ، ثم
بدأنا نسير فى سرداب ضيق ذى صخور مدببة على
جانبيه وفى السقف المنخفض فوق رؤوسنا .. ولكن
كان من الواضح أن « الزفير » يعرف المكان جيدا ، الى
أن وصلنا فى النهاية الى الكهف المنشود .. وهو
كهف كبير واسع يتسرب اليه ضوء النهار خلال فتحة
بعيدة .. ويهب بداخله هواء بارد ومنعش ومتجدد ..
ولهذا فقد عرفت أن البحر ليس بعيدا عن هذا الكهف ..

الفصل الرابع عشر

الشقاء ..

وبعد أن أعد لى « الزفير » فراشا من الرمل الجاف .. أرقبني عليه وهو يقول :

— انه ليس سريرا مريحا .. ولكن من المؤكد أن هناك أماكن أخرى للنوم أسوأ منه بكثير .. وعلى أية حال فإن من اللازم والضروي أن ترقد هنا لمدة شهر أو ربما شهرين حتى يلتئم الجرح فى قدمك وتعود اليك عافيتك تماما ! ..

ولكن بينما كان « الزفير » يتكلم .. كنت أشعر

بألم شديد يكاد يحطم رأسي ٠٠ وطلبت أن أشرب بعض الماء ٠٠ فأحضر لي « الزفير » بعض الماء في قبعته ، وشربت وأنا أشعر بأن رأسي تدور وتدور ٠٠ ولم أشعر بما حدث بعد ذلك وأصببت بغيضوية كاملة استمرت عدة أيام ٠٠ أخبرني « الزفير » بعد ذلك اني كنت أقز من غيبوبتي تلك وأصرخ وأهذى ٠٠ ولكنه كان يقوم بتهديتي ويحرص على راحتي ٠٠ وكان لا يترك الكهف إطلاقا الا اذا اضطر لاحضار بعض الطعام ٠٠

وبعد أن خفت عني وطأة المرض وبدأت أتماثل للشفاء ٠٠ أصبحت نحيفا وفي غاية الضعف ٠٠ ولم أعد أفعل شيئا سوى الرقاد على الفراش الرملى لا أفكر فى شيء ولا أزعج نفسي بالاهتمام بأى شيء ٠٠ وأكل كل مايقدم الى من طعام ٠٠

ولم يكن هناك أحد يعرف سر وجودنا بهذا الكهف سوى « راتسى » الذى كان يحمل الينا الطعام بين حين وآخر ويخبرنا بأخر أخبار ما يحدث فى « مون فليت » ٠٠ وقال لنا ان الجنود مازالوا يبحثون عنا فى

مكان .. وأنهم كانوا يظنون في البداية أننا قد
سقطنا في البحر .. وقد قال الجنود ذلك حين أحضروا
جثة « ماسكيو » الى بيته .. ولكن هذا الوضع تغير
بعد أن أخبرهم صبي صغير انه رأى واحدا من المهربين
ومعه صبي مصاب في قدمه .. وأن هذا المهرب خطف
منه بندقيته وباروده .. ولهذا فقد أعلن قائد الجنود
عن مكافأة قدرها خمسون جنيها لمن يقبض على
« الزفير بلوك » .. ومكافأة أخرى قدرها عشرون
جنيها لمن يقبض على الصبي « جون ترنشارد » ..

وهكذا مرت الأيام ..

وبدأت استعيد صحتي وعافيتي .. وبدأ « الزفير »
يتحدث عما سوف نفعله بعد أن تغادر الكهف .. وقال
ان علينا أن نذهب الى « نيو بورت » ومن هذا الميناء
نركب سفينة المهربين « بون أدفنشر » ونذهب بها الى
فرنسا .. ونختبئ هناك الى أن يكف الجنود عن
البحث عنا ..

وفى احدى الامسيات العاصفة ، كان « الزفير » ،
قد ذهب الى بلدة «بول» القريبة بعد ان علم ان السفينة
« بون أدفنشر » ستكون موجودة هناك ، وليتفق مع
بحارتها على الموعد المناسب لرحلتنا ..

كنت اجلس خارج الكهف لكى اطل على البحر
الصاخب الذى كانت أمواجه العاتية تتلاطم بعنف فوق
صخور الشاطئ .. وخيل الى انى رايت منظرا غريبا
.. خيل الى انى ارى « ماسكيو » راقدا على الأرض
مكتوف اليدين والقدمين ومع ذلك فقد كان يضحك لى
.. او يضحك على .. لا ادرى ..

قمت ودخلت الى الكهف واشعلت شمعة وفتحت
العلبة الفضية التى عثرت عليها فى تابوت ذى اللحية
السوداء .. واخرجت الورقة الصغيرة ذات الكتابة
الغامضة .. وأخذت أقرأها مرة أخرى :

قد يعيش الرجل ثمانين عاما ..
يمشى قدما قدما تحت سيل الدموع ..

فاشرب من بئر السعادة ..
لأن الموت سيأتى حتما ..
من جهة الشمال أو الجنوب ..

« جون موهون »

وفجأة سمعت حركة فى الممر الموصل الى الكهف ..
وسمعت وقع خطوات لشخص قادم .. انه ليس
« الزفير » لأن « الزفير » لن يعود من مشواره قبل عدة
ساعات فمن ياترى يكون القادم ؟! .. أطفأت الشمعة
.. وامسكت بالبندقية التى كانت موضوعة الى جانبى ،
وصحت فى الظلام :

– من القادم هناك ؟!

توقفت الخطوات ولكن أحدا لم يرد .. فكررت
الصياح مرة أخرى وبصوت أعلى :

– من القادم هناك .. أجب والا فسوف أطلق
النار .. !!

وهنا اجاب القادم :

— أنا « راتسى » ايها المجنون الصغير .. هل
ستطلق النار على اعز صديق لك .. وبالبندقية التى
أحضرها اليك .. ؟!

وهكذا أنزلت البندقية ، وأعدت اشعال الشمعة ..
ورأيت « راتسى » أمامى ! .. !

كانت ملابسه مبتلة بسبب الأمطار الغزيرة التى
هطلت عليه فى الطريق الى هنا .. ولكنه كان مسرورا
برؤيتى وقال وهو يمسك يدى :

— جون .. ان ماحدث لك طوال الشهرين
الماضيين قد حولك من صبى الى رجل .. لقد كنت
مجرد صبى صغير حين خرجت معنا فى عملية « رأس
هور » .. لم يكن من الصواب أن تخرج معنا فى ذلك
الصباح .. ان مثل هذه الأعمال لاتناسب صبيا فى مثل
سنك ..

وبالرغم من اقتناعى بصحة كلامه الا أننى قلت
بصدق :

– لا يا « راتسى » .. أينما يذهب « الزفير »
سأذهب معه .. وأينما يبقى ساقبى ..

وجلست فوق فراشى الرملى .. وبدأت العاصفة
تشتد فى الخارج .. وتسفل الهواء الى داخل الكهف
فأطفأ الشمعة .. وصاح « راتسى » :

– يلها من ليلة عاصفة باردة .. كان الله فى
عوننا .. فقلت مؤيدا :

– نعم .. وكان الله فى عون البحارة والرجال
الذين يعملون فى السفن التى تجوب البحر فى تلك
العاصفة ..

وقال « راتسى » :

– حقا .. ومن المحتمل أننا سنجد بعض القوارب
والسفن الصغيرة محطمة على شاطئ « مون فليت »

صباح اليوم التالي بعد هدوء العاصفة .. دعنا نشعل
بعض النار .. !

واشعلنا النار فى بعض الأخشاب وفروع الشجر
.. وأحسنا بالدفء .. وقال « راتسى » وهو يفرك
يديه :

- كنت موشكا على الموت متجمدا من شدة البرد
.. كم هى جميلة تلك النار .. وكم هى مفيدة للإنسان
.. هل تعلم ياجون أن لى ذكريات حزينة فى هذا
المكان ؟ .. فمئذ حوالى أربعين عاما .. عندما بدأت
أعمل فى تهريب البضائع .. كنت جالسا فى نفق هذا
المكان بداخل هذا الكهف .. وفجأة سمعت أصواتا
تصرخ .. وصوت سفينة ترتطم بصخور الشاطئ عدة
مرات .. وكل من كان عليها من رجال ونساء وأطفال
كانوا يصرخون طلبا للنجدة وانقاذهم من السفينة
الغارقة .. وعندما خرجنا لنستطلع الأمر لم نستطع
أن نرى شيئا بسبب شدة الظلام وشدة هطول المطر ..
وفى صباح اليوم التالي علمنا أن السفينة « فلوريدا »

— وهى سفينة جيدة — قد غرقت بكل من كان عليها من رجال ونساء وأطفال ..

وصمت « راتسى » قليلا بعد ان استعاد أحزان هذه الذكرى .. وبعد فترة أخرج ورقة من جيبه وأعطاهما لى لكى أقرأها .. وكانت الورقة عبارة عن إعلان بمكافأة « ٥٠ » ، جنيها لمن يرشد الى مكان العثور على « الزفير بلوك » ومكافأة أخرى « ٢٠ » جنيها لمن يساعد الجنود فى العثور على « جون ترنشارد » ..

وقال « راتسى » ليطمئننى :

— لا أحد فى « مون قليت » يعلم شيئا عن مكان اختفائكما .. وحتى لو علموا فلن يقبل أحد أن يشى بكما .. ولكن الجنود يراقبون كل تحركاتى .. وأينما أذهب أراهم يتتبعون خطواتى .. وقد يكون من الأفضل أن امتنع عن المجئ الى هذا الكهف مرة أخرى حتى لا يكون هناك من يراقبنى ويعرف بالتالى سر المكان ..

وعندما أخبرت « راتسى » بأن « الزفير » قد ذهب

الى بلدة « بول » ليتفق مع بحارة السفينة « بون
أدفنشر » على سفرنا الى فرنسا .. شعر « راتسى »
بكثير من الفرح والارتياح لهذا القرار .. ولكنه بعد
ذلك صمت قليلا .. ومد يديه ليدفئهما أمام النار ..

وقال فى صوت حزين :

– ان قلبى مملوء بالحزن يا جون .. لقد راحت
الأيام السعيدة الماضية .. و « الزفير » لن يستطيع
العودة الى « مون فليت » مرة ثانية .. وحانة « هواى
نوت » مغلقة لأن « ماسكيو » قد مات قبل أن يبدأ
العمل فيها .. و « جريس » ابنة « ماسكيو » بنت
صغيرة ومسكينة .. نحيفة وبيضاء مثل الزهرة ..
هل تعلم يا جون انها لم تصدق الرجال الذين قالوا لها
انك انت و « الزفير » اشتركتما فى قتل أبيها .. بل
وقالت لهؤلاء الرجال ان « الزفير » لا يمكن أن يقتل
رجلا فى مثل الحالة التى كان عليها أبيها بعد أن
امسكوه .. وحتى لو كان « الزفير » قد شرع فى قتل

أبيها انتقاما لمقتل ابنه « دافيد » فهي تعلم جيدا أن
« جون ترنشارد » سيبذل كل جهده لكي يمنعه .. !

كانت هذه الكلمات التي قالها « راتسى » أعذب
فى أذنى من صوت الموسيقى .. لقد جعلتنى أشعر بأنى
محل ثقة « جريس » وأنها مازالت تذكرنى بالخير ..
لذلك فقد قلت « لراتسى » انى لابد أن أرى « جريس »
وأخبرها بنفسى عن كل شىء مما حدث .. لابد أن
أراها قبل أن أغادر أنجلترا الى فرنسا .. وعندئذ
نظر الى « راتسى » نظرة متسائلة وقال :

— حقا ان « جريس » بنت جميلة وبیضاء مثل
الزهرة .. ولكنها مازالت صغيرة .. وربما ستكون
خير زوجة لك عندما تصبح رجلا .. وذلك اذا قبلت
هى الزواج منك !

ووضع « راتسى » بعض الاخشاب فى النار فازداد
لهيبها واشتعلت ووفرت لنا مزيدا من الضوء ..
وعندئذ رأيت ورقة ذى اللحية السوداء التى كنت

اقراها عندما سمعت خطوات « راتسى » حين كان قادما
من المر المؤدى الى الكهف ٠٠ وكانت الورقة الصغيرة
ملقاة الى جانب قدمى « راتسى » ٠٠ فالتقطها وتفحصها
قليلا ثم قال :

— ماهذه الورقة يا جون ٠٠ انها مكتوبة بطريقة
رديئة ٠٠ وفيها بعض الكلمات مكتوبة بحروف كبيرة
فى الوقت الذى كان يجب ان تكتب فيه بحروف
صغيرة ٠٠ !

واعطانى الورقة ، ونهض واقفا ثم قال :

— يبدو اننى لن استطيع ان انتظر « الزفير » اكثر
من ذلك ٠٠ وعندما يعود عليك ان تخبره بما قلته لك ٠٠
وعليكما ان تسرعا بمغادرة هذا المكان فى اقرب وقت
وودعنى « راتسى » وانصرف ٠٠

والتقطت الورقة الصغيرة وعادت قراءتها ٠٠
ولاحظت بالفعل ان هناك كلمات كتبت بحروف كبيرة
فى حين ان الصحيح ان تكتب بحروف صغيرة ٠٠ كيف

لم ألاحظ هذا من قبل .. وببساطة شديدة وجدت ان
الكلمات التي كتبت بالحروف الكبيرة هي :

ثمانين .. قدام .. تحت .. بئر .. جهة الشمال

لقد انكشف سر الجوهرة اذن .. فمعنى هذه
الكلمات أن الجوهرة مخبأة في « بئر » على عمق
« ثمانين قدام » « من جهة الشمال » .. ولكن شمال
ماذا ؟ !

واستغرقت في التفكير لحل هذا اللغز الجديد ..
ودب في عيني النعاس فنمت لفترة .. وعندما استيقظت
لاحظت ان النار مازالت مشتعلة ، وان « الزفير »
جالس أمامها ويعد بعض الطعام .. فقال حين رآني
مستيقظا :

– هذه ثاني مرة ياجون تنام فيها في حين يجب
أن تبقى مستيقظا لمراقبة المكان .. !

اعتذرت له .. واخبرته بأمر تلك الكلمات المكتوبة

بحروف كبيرة فى ورقة ذى اللحية السوداء ٠٠ والمعنى
الذى تشير اليه تلك الكلمات ٠٠ فقال « الزفير » ٠٠

– يبدو أنك محق فى هذا الظن ٠٠ ولكن ماهو
البئر المقصود ؟ ٠٠ أنا أعرف جميع الآبار فى « مون
فليت » ٠٠ وليس بينها بئر واحد عمقه « ثمانون قدما »
٠٠ وربما يكون هذا البئر المقصود فى الورقة يقع فى
منطقة خارج « مون فليت » ٠٠ ربما يكون فى قلعة
« كاريسبروك » التى كان « جون موهون » نو اللحية
السوداء يقوم فيها بحراسة الملك السجين ٠٠ أنا أعرف
ان هناك بئرا بداخل تلك القلعة ٠٠ فهيا بنا نذهب الى
هناك ٠٠ ان لدى اصدقاء مخلصين فى القرية المجاورة
لتلك القلعة ٠٠ ويمكننا ان نختبئ عندهم فى امان ٠٠
كما ان المنطقة التى تقع فيها هذه القرية أكثر امانا من
مكاننا هذا ٠٠ !

وهكذا قررنا ان السفينة « بون أدفنشر » ستأخذنا
الى « كاريسبروك » بدلا من الابحار الى فرنسا ٠٠ وفى

اليوم التالى ، أحضر « الزفير » سائلا بنيا صبيغ به
بشرة وجهى ٠٠ وتنكر هو بحلق لحيته ٠٠ وغيرنا
ملا بسنا بملايس فلاح وصبيه ٠٠ وعندما نظر كل منا الى
الشخص الآخر بعد هذا التنكر الجيد ، تأكدنا أن احدا
لن يعرفنا فى هذا الزى الجديد ٠٠ !

الفصل الخامس عشر

سأنتظرك حتى تعود ..

بقيت لدينا ليلتان كاملتان نقضيهما في هذا المخبأ قبل أن نبدأ رحلتنا الى « كارييسبروك » .. كنت أخشى أن تمر هاتان الليلتان دون أن أتمكن من الذهاب الى « جريس » لرؤيتها وتوديعها .. وترددت كثيرا في اختيار الكيفية التي أبلغ بها « الزفير » برذبتى هذه ..

وبينما كنت جالسا مع « الزفير » عند فتحة الكهف التي تطل على البحر ونرقب آخر شمساعات من نور الشمس الغاربة ، رأيت ان الوقت المناسب قد حان

لاستئذان « الزفير » ليسمح لى بهذه الزيارة • وبدأت
عرض الموضوع بكلمات هادئة :

– يا عزيزى « الزفير » •• انى أشكر لك اهتمامك
بى طوال الفترة الماضية •• لقد انقذت حياتى من موت
محقق •• وعالجت قدمى الجريحة الى أن شفيت ••
ومنذ نحو شهرين أو أكثر وأنا مللزم لهذا الكهف
لا أبرحه •• لا أرى فيه شيئاً سوى جدرانه الصخرية ••
وأنا أريد أن أتمشى لأمرن قدمى على حسن السير
بطريقة طبيعية •• أريد أن أمشى فوق أرض عشبية ••

قال « الزفير » :

– لا تقل انى انقذت حياتك •• انى على العكس
أشعر بانى السبب فى كل ما تتعرض له الآن من متاعب
وأخطار •• ولو لم أفعل ذلك لكنت الآن راقداً فوق
سريرك النظيف فى « مون فليت » بدلاً من رقادك على
فراش رملى على أرض الكهف الصخرية •• انى ذاهب
الليلة الى بيت يقع فى مكان قريب من هنا •• لأن

« راتسى » قد ترك لنا شيئاً فى ذلك البيت .. فتعال
معى فى هذا المشوار .. لتتمشى وتتمتع بنسمات
الليل .. !

فقلت بلا تردد :

— لا يا « الزفير » .. انى اريد ان اذهب ابعد
من ذلك .. انت تعلم انى ولدت فى « مون فليت » ..
وعشت فيها طوال حياتى .. وأحببت فيها كل شىء ..
أشجارها .. ونهرها .. وكل حجر فيها .. وأنا اريد
ان ألقى آخر نظرة على « مون فليت » قبل ان أغادرها الى
الأبد .. وأرجو ان تسمح لى بأن أقوم بهذه الزيارة
وسوف أعود اليك فى الليلة التالية ..

نظر « الزفير » نحوى دون ان يتكلم .. وكنت
على يقين من أنه يعرف نواياى وما أقصده من زيارة
« مون فليت » .. لذلك فقد خفضت نظرى الى الأرض
.. وبعد فترة قصيرة تكلم « الزفير » دون غضب :

— جون .. انى أعرف أن الرجال قد يعرضون

أنفسهم للمخاطر لأسباب مختلفة ٠٠ فى سبيل الذهب
مثلا ٠٠ أو فى سبيل الحب ٠٠ أو بغرض الانتقام ٠٠
ولكنى لا أعرف حتى الآن رجالا يعرضون أنفسهم
للمخاطر لكى يروا شجرة ٠٠ أو نهرا ٠٠ أو حجرا ٠٠
ان الناس عندما يقولون انهم يحبون مكانا معينة أو
قرية أو مدينة معينة فانهم لا يقصدون انهم يحبون هذا
المكان أو تلك القرية كأشياء جامدة ٠٠ ولكنهم يحبون
شخصا معينة يعيش هناك ٠٠ ولا اعتقد ان هذا الشخص
هو خالتك « مس آرنولد » ٠٠ فهل تريد أن تذهب الى
« مون فليت » لكى تراها ٠٠ ؟!

وطبعاً ٠٠ حكيت له كل شىء بصدق ٠٠ واندهشت
كثيراً عندما قال « الزفير » :

— أعرف أن هذه الفتاة الصغيرة جميلة وذات قلب
طيب ٠٠ وكان أبوها « ماسكيو » لا يستحقها ٠٠ ومع
ذلك فانا سعيد الآن لأنى لم أكن قاتله ٠٠ اذهب يا جون
وتمتع برؤية النهر والأشجار والأحجار كما تقول ٠٠
وسوف اصاحبك فى بعض الطريق الى هناك ٠٠ وسوف

انتظرك فى الكهف حتى تعود فى الليلة القادمة .. واذا
لم تحضر حتى منتصف الليل ، فسوف أعرف أنهم
قبضوا عليك .. وسوف أحضر لمساعدتك بكل وسيلة .

وصافحته بحرارة وشكرت له موقفه ..

وهكذا بدأنا رحلتنا بعد أن حل الظلام .. وأخذنا
معنا خبزا وبعض اللحم ليكون طعاما لى اثناء الرحلة
الى « مون فليت » والعودة .. وعندما كنا نجتاز الممر
الضيق كان « الزفير » يرشدنى ويأخذ بيدي خطوة خطوة
الى أن خرجنا الى الأرض البراح الواسعة .. وكانت
السماء صافية تسطع فيها النجوم .. وتهب علينا
نسمات المساء الرقيقة الندية ..

وواصلنا السير فى صمت ممتعين بجمال الليل
حتى وصلنا الى البيت الذى ترك فيه « راتسى » شيئا
« لالزفير » .. ثم صاحبنى « الزفير » حتى وصلنا
الى منطقة « باربيك » .. وهناك توقف « الزفير » عن
السير ، وقال وهو يعطينى المسدس الذى كان مملوكا
من قبل « لاسكيو » :

– خذ هذا المسدس يا جون ٠٠ ولا تستعمله الا اذا واجهت خطرا جسيما لايمكن أن تتجنبه بطريقة أخرى ٠٠ واذا اضطررت الى استخدامه فاطلق النار على الاجزاء السفلى من جسم عدوك ٠٠ !

وعندما بدأت الشمس تطل على السماء من أفق الشرق معلنة تباشير الصباح ٠٠ كنت قد وصلت الى القل الذى يطل على « مون فليت » كلها ٠٠ ومن هذا القل رأيت كل بيوت القرية ٠٠ ورأيت حانة « هواي نوت » ٠٠ ورأيت النهر والبحر ٠٠ وكانت هذه المناظر كلها تسعدنى وتحزننى فى نفس الوقت ٠٠

وعندما اشتدت حرارة الشمس ٠٠ واصلت السير الى غابة « مانور » وذهبت مباشرة الى مكانى المعتاد الذى كنت اجلس فيه فى الماضى لأرى كل شىء ببیت « ماسكيو » دون أن يرانى أحد ٠٠ وحيث كنت أرقب « جريس » حين كانت تخرج الى الحديقة ٠٠ وهناك

جلست وتناولت قطعة من الخبز وأنا أراقب باب البيت ٠٠ وأخذت أفكر ٠٠ هل أذهب وأقرع جرس الباب ٠٠ أو ربما يكون هناك أحد يتعرف على ويكتشف أمرى ٠٠ والحقيقة انه بالرغم من تنكرى فى ثياب الفلاحين التى ارتديها الا انى كنت أخاف بالفعل من مقابلة أى شخص لاينطلى عليه هذا التنكر ٠٠ وعلى أية حال ، فقد عزمتم أمرى ٠٠ ومشيت فى الطريق المؤدى الى باب البيت ٠٠

وقرعت جرس الباب ٠٠

وسمعت وقع خطوات هينة رقيقة تتقدم نحو الباب من الداخل ٠٠ ثم سمعت صوت « جريس » العذبة الجميل :

— من هناك ٠٠ ؟ !

وكنت أصبح قائلاً : أنا جون ترنشارد يا جريس ٠٠ ولكنى تذكرت أن من المحتمل أن يكون معها أحد فى البيت فيعرفنسى ٠٠ لذلك فقد قلت وأنا اغير نبرات صوتى :

– انا صبي مسكين ٠٠ تهت في الطريق ولا اعرف
اين انا ٠٠ !

وعندئذ فتحت « جريس » الباب مواريبا وسالته
عن الجهة التي كنت اقصدها ٠٠ ونظرت الى دون ان
يبدو عليها انها تعرفني ٠٠ فواصلت كلامي بنفس
الطريقة :

– انى صبي فلاح ٠٠ جئت سيرا على قدمي من
بلدة « باربيك » قاصدا حانة اسمها « هواى نوت »
يديرها شخص اسمه « الزفير بلوك » ٠٠ !

وعندما سمعت « جريس » هذا الكلام اندهشت ٠٠
ونظرت الى مرة اخرى ولكنها لم تعرفني ٠٠ وقالت
اخيرا :

– اذا صعدت معى هذه الدرجات القليلة ، أستطيع
أن أريك موقع هذه الحانة ٠٠ ولكن يبدو أنك لاتعرف
ان حانة « هواى نوت » مغلقة منذ أكثر من شهرين ٠٠
وان « الزفير » قد غادر القرية ٠٠

وخرجت « جريس » من الباب .. وسارت عدة خطوات ، ثم صعدت بضع درجات وأنا اتبعها .. وعندما أصبحنا وحدنا فى هذا المكان البعيد قليلا عن باب البيت .. قلت لها بصوت منخفض :

- جريس .. أنا جون ترنشارد .. جئت متخفيا حتى أراك قبل أن أغادر « مون فليت » .. ولدى أشياء كثيرة أريد أن أخبرك بها .. هل هناك أحد فى البيت غيرك .. ؟!

كان من المتوقع أن أية فتاة يمكن أن تصرخ اذا واجهت مثل هذا الموقف .. ولكن « جريس » لم تفعل .. بل قالت بهدوء :

- هيا نعود الى البيت .. أنا هناك وحدى !

ودخلنا الى البيت ، وما أن أغلقنا الباب من خلفنا حتى وضع كل منا يديه بيدي الآخر .. وجلسنا متقابلين ينظر كل منا الى عينى الآخر .. كانت لحظات سميعة

حلوة تبدو كما لو كانت حلما جميلا فى منام مريح ..
وقالت « جريس » أخيرا :

— جون .. لقد كبرت .. لقد أصبحت رجلا خلال
هذين الشهرين الماضيين !

ولاحظت أن « جريس » قد كبرت هى الأخرى خلال
نفس الفترة بسبب الهموم والمتاعب التى أعقبت موت
أبيها .. وفقد وجهها بعض البريق الساحر الأخاذ
الذى كان يشع من جبينها ووجنتيها ..

وضحكت « جريس » كثيرا من ملابس الفلاحين
الفقراء التى كنت متنكرا فيها .. ومن الصبغة البنية
التي دهنت بها بشرة وجهى ويدي ..

ثم ذهبنا الى الحديقة ، وجلسنا فى ركن وراء
شجرتين ضخمتين .. وقالت « جريس » ان باستطاعتى
أن أتسلق إحدى هاتين الشجرتين بسهولة واقفز خارج
سور البيت اذا ظهر أحد أو رأينا خطرا يداهدنا ..

وأخبرت « جريس » بحقيقة كل ما حدث لأبيها ..
وكانت تبكى وأنا أشرح لها التفاصيل .. الى أن
انتهيت من الحكاية ، وجففت « جريس » دموعها ..
وسألتني عن اصابة قدمي وهل شفيت منها تماما ..
فأجبته بالإيجاب ورويت لها الجهد الذي بذله «الزفير»
في علاجى .. ثم أخبرتها بأمر الكلمات المكتوبة على
الورقة التي عثرت عليها بداخل العلبة الفضية التي
كانت مملوكة فيما مضى لذى الملحية السوداء ..
وأريتها العلبة الفضية الجميلة التي مازالت محتفظا
بها .. وشرحت لها كيف اكتشفت سر الكلمات المكتوبة
بالحروف الكبيرة وانى ذاهب للبحث عن الجوهرة
الثرينة ثم أصبح من أغنى الأغنياء فى هذه البلاد ..
وعندئذ قالت « جريس » :

— أه يا جون .. لاتفكر كثيرا فى أمر تلك الجوهرة
ولاتحاول الحصول عليها .. لقد كانت مملوكة لرجل
سيئ ولن يكون وراءها شىء سوى التماسه وحتى
لو عثرت عليها يا جون فبمها وانفق ثمنها لمساعدة
الفقراء .. والا حلت بك التماسه انت ايضا !

وضحكت مما قالت « جريس » .. ولكنى لم أخبرها
بأنى أريد أن أكون غنيا لسبب واحد .. هو أن أتزوجها

وتواصلت بيننا أحاديث طويلة طيبة .. واحضرت
لى « جريس » خبزا ولحما ساخنا وبعض الفواكه من
داخل البيت .. وطلبت منى أن استريح وأنام بعض
الوقت بعد أن أخبرتها أنى لم أنم الليلة الماضية لأن
الرحلة الطويلة قد استغرقت طول الليل .. وتركتنى
وعادت الى البيت .. واستغرقت فى نوم جميل هانىء
فى ذلك الركن الهادئ خلف الشجرتين ..

وعندما استيقظت ، وجدت « جريس » جالسة الى
جوارى وقد احضرت معها بعض الطعام وبعض اللبن
لأخذه معى فى رحلة العودة ..

كانت النسمات قد أصبحت باردة على نحو لطيف
.. وكانت الشمس قد أوشكت على المغيب وراء خط
الأفق وبدأت تباشير المساء تغطى أنوار الشفق ..
وترخى استار الظلام رويدا رويدا ..

ووقفنا متقابلين وكل منا يمسك بيدي الآخر ..
تماما مثلما فعلنا حين التقينا في الصباح .. وقالت
« جريس » بصوت جميل عذب :

- جون .. عندما تتجول داخل البحر .. أو
عندما تكون قادما الى « مون فليت » من جهة البحر ..
وهذا ما أرجو حدوثه في يوم ما .. ستري شمعة
مضاءة خلف نافذتي .. سأحرص على اضاءتها كل
ليلة حتى تعود .. تماما كما كنت افعل في الماضي ..
وعندما ترى نور الشمعة في نافذتي .. اعرف جيدا
أن « جريس » مازالت تذكرك وتنتظرك .. أما اذا
جئت يوما ولم تر نور الشمعة ، فاعلم ان « جريس » قد
ماتت ! .. !



الفصل السادس عشر

♦♦ في القلعة ♦♦

كان الوقت متأخرا حين وصلت الى « كهف جوزيف » لأتام فيه آخر ليلة ..

وفي الليلة التالية أرسلت إلينا السفينة « بون أدفنشر » أحد قواربها لياخذنا من الشاطئ حتى نصعد الى ظهرها .. وهناك رأيت مجموعة من الرجال والبحارة أعرف الكثيرين منهم .. وتحديثوا معي بلطف وترحاب .

وبالرغم من سعادتي بوجودي بين هؤلاء الرجال

الا ان شيئاً من الحزن قد ملأ قلبي ونحن نغادر ساحل
« دورست » .. حيث يوجد الكهف الذى عشت فيه أكثر
من شهرين ..

وفى صباح اليوم التالى انزلتنا السفينة فى بلدة
« كاوز » ومن هناك واصلنا السير على الأقدام حتى
قرية « كاريسبروك » .. ودخلنا الى حانة « باجل »
حيث تناولنا طعاما شهيا .. ونمت على سرير جيد
ونظيف سعدت به كثيرا حين تذكرت فراشى الرملى
فى « كهف جوزيف » ..

واتفقت مع « الزفير » على الا اظهر كثيرا خارج
حجرتى او خارج الحانة .. ولذلك فقد كنت اقضى
أغلب الوقت فى آخر ركن بالحانة وقراءة العديد من
الكتب التى وجدتتها هناك .. اما « الزفير » فقد كان
يقضى أغلب النهار بالخارج .. وتردد على القلعة
عدة مرات .. وعلم ان القلعة تستخدم الآن كسجن
لأسرى الحرب من الجنود الفرنسيين .. واخبرنى انه

استطاع أن يعقد صداقة مع بعض حراس القلعة ..
وتمكن بذلك من الدخول الى القلعة ورؤية البئر ..



كانت هناك حديقة تقع خلف حانة « باجل » .. يمر
بها مجرى مائى صغير .. وكنت أفضل الجلوس فى
تلك الحديقة فى فترة المساء .. وجاءنى « الزفير »
حيث أجلس ، وجلس بجانبى وقال :

— لقد حاولت أن اضع خطة لكى نصل الى البئر
وحدنا دون أن نخبر بذلك أحداً .. ولكنى وجدت أن
هذا الأمر مستحيل تماماً .. وهناك رجل يتولى حراسة
هذا البئر ، ويدون مساعدة من هذا الرجل لن نستطيع
أن نفعل شيئاً .. ولذلك فقد اضطررت لأن أخبره بأن
هناك جوهرة ثمينة مخبأة فى هذا البئر ونحن نصرف
مكانها .. فوعدنى بأنه سيساعدنا فى الهبوط الى البئر
للبحث عن هذه الجوهرة بشرط أن يحصل هو على ثلث
قيمة الجوهرة الثمينة أو أية جواهر أخرى نعثر

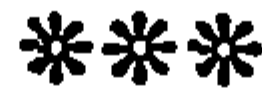
عليها ٠٠ والحقيقة انى لا اثق فى هذا الرجل ولكن ليس
امامنا حل آخر ٠٠ ولهذا فقد اتفقت معه على ان
نقابله عند بوابة القلعة فى الساعة السادسة من صباح
الغد ٠٠ ويحب ان تكون متنكرين فى ثياب عمال بناء
جاءوا ليصلحوا جدران البئر ٠٠ وسيتولى هو امر
دخولنا الى القلعة والى البئر ٠٠ !

وهى الصباح الباكر غادرنا حانة « باجل » ونحن
متنكرين فى الثياب المتفق عليها ٠٠ وكانت الأمطار
الغزيرة قد ظلت تنهمر طول الليل ٠٠ ومازالت بقاياها
تنهمر أيضا فى هذا الصباح ٠٠ وعندما وصلنا الى
بوابة القلعة وجدنا من يتوقع مجيئنا ٠٠ ففتحت لنا
البوابة ودخلنا ٠٠ ودعانا حارس البوابة الى بعض
الشرباب ولكن « الزفير » شكره ولم يقبل دعوته وفضل
ان يبدأ العمل فوراً ٠٠

وسار الرجل امامنا وسرنا خلفه ٠٠ وعبرنا
الساحة الرئيسية الى الجانب الآخر ٠٠ وهناك أخرج
الرجل مفتاحا كبيرا وفتح به بابا ضخما دخلنا منه الى

ساحة أخرى أقل مساحة ، وفى وسطها مبنى مربع الشكل مصنوع من الخشب ٠٠ وفتح الرجل باب هذا المبنى ودخلنا جميعا وقام الرجل باغلاق الباب من الداخل ٠٠ لقد وصلنا الى البئر أخيرا ٠٠

وعندما نظرت الى الرجل لم استرح الى ملامح وجهه ولا الى شكله العام ٠٠ وفقدت ثقتى فيه ٠٠ واذا كانوا يقولون ان هذه الجوهرة الثمينة تجلب التعاسة لمن يمتلكها ٠٠ فمما لاشك فيه ان هذا الرجل سيكون أول متاعبنا ومشاكلنا اذا عثرنا على الجوهرة ٠٠٠



كان هناك برميل خشبى معلق ببكرة الحبال فوق البئر ، فجذب « الزفير » البرميل ناحيته وقال لى :

— سأنزل أنا فى هذا البرميل ٠٠ وسيتولى هذا الرجل الطيب انزال البرميل ببطء ٠٠ وعليك يا جون أن تمسك بطرف هذا الحبل فى يدك وسأمسك أنا بطرفه

الآخر فى يدى ٠٠ ان هذا الحبل طوله ثمانون قدما
بالضبط ٠٠ وعندما يصبح هذا الحبل مشدودا بين
أيدينا فعليك ان تطلب من الرجل الطيب ان يتوقف فورا
عن انزال البرميل ٠٠ !

لم اقتنع بتلك الخطة وعارضتها فورا ٠٠ لأنها
ستجعلنى وحدى مع هذا الرجل الذى لا اثق فيه اطلاقا
وقد يكون من الأفضل ان أنزل أنا الى البئر ويبقى
« الزفير » مع الرجل ٠٠ لانه يستطيع ان يتعامل معه
اذا صدرت منه أية نية سيئة . لذلك فقد قلت « لالزفير »
وانا انظر اليه نظرات ذات معنى :

— لا ٠٠ دعنى انزل فى البرميل لأنى صغير
وخفيف الجسم ٠٠ وابق أنت هنا لمساعدة هذا الرجل
الطيب ٠٠ !

استحسن « الزفير » هذه الخطة ولكن الرجل
قد استاء من هذا التغيير غير المتوقع بالنسبة له ،
لذلك فقد قال « لالزفير » :

— ان خطتك السابقة افضل كثيرا من هذه
الخطة ..

ولكن « الزفير » لم يعر أى التفات الى كلمات
الرجل بعد أن فهم ماكنت أعنيه بنظرات عيني .. وقرر
« الزفير » فى النهاية أن يبقى هو مع الرجل ، وأن انزل
أنا الى البئر ..

وفى الحقيقة فقد كنت أخشى ان يكون الهواء
فاسدا فى أعماق البئر ، لذلك فقد استندرت نحو
« الزفير وسألته :

— هل انت متأكد من ان البئر نظيف وأن هوائه
صالح للتنفس ؟ !

اجاب « الزفير » :

— بالتأكيد .. لقد اختبرته أمس .. وأدليت
شمعة مشتعلة مربوطة بحبل الى قاع البئر .. وظلت
الشمعة محافظة على شعلتها حتى وصلت الى سطح

الماء فى البئر ٠٠ وأى مكان يصلح لاستمرار الشمعة
مشتعلة يصلح بالطبع لتنفس الانسان ٠٠ وعلى أية
حال فلكى تكون مطمئنا سنعيد التجربة أمامك ٠٠
احضر لنا شمعة أيها الرجل الطيب !

واضطر الرجل الى احضار شمعة وهو مستاء ٠٠
وثبت الشمعة فى قطعة من الخشب بعد أن أشعلها ٠٠
وأدلاها بحبل رفيع الى أعماق البئر ٠٠ وظلت الشمعة
تنزل رويدا رويدا الى أن أصبحت مثل نقطة صغيرة
من الضوء حين لامست سطح المياه ٠٠ وعندئذ بدأ
الرجل يرفع الشمعة مرة أخرى حتى أخرجها خارج
البئر ٠٠ ثم أخذ حجرا صغيرا وألقاه فى البئر ٠٠
واصطدم الحجر عدة مرات بجوانب البئر أثناء سقوطه
٠٠ ثم دوى بصوت عميق مكتوم حين غاص الحجر فى
مياه البئر ٠٠ ونظر الرجل الى وكأنه يقول لى فى سره:
هكذا سنسمع صوتك وانت تسقط فى هذا البئر ٠٠ !!

وتقدم « الزفير » ووضع يده فوق كتفى وسألنى :

— هل انت متأكد يابنى من انك قادر على النزول
الى هذا البئر؟! .. انى مستعد أن أفقد كل مجوهرات
العالم ولا أفقدك أنت !

فاجبته بكل ثقة :

— نعم .. انى قادر على النزول ولا أخاف . !

الفصل السابع عشر

النزول الى البئر ..

وبدا البرميل ينزل بى الى أسفل البئر رويدا رويدا .. وكلما نزلت الى أسفل خف الضوء واظلمت جدران البئر .. وعندما نظرت الى اعلى وجدت فوهة البئر عبارة عن دائرة من الضوء تبدو مثل القمر ..

واستمر النزول بطيئا الى ان وصلت الى نهاية الحبل الذى ادلاه « الزفير » من اعلى والذى يبلغ طوله ثمانين قدما بالضبط ، وعندئذ صاحت بالرجلين ان

يتوقفا عن انزال الحبل الذى يحمل البرميل . وتوقف
الهبوط فورا ..

كانت جدران البئر مبنية باحجار مربعة متماثلة فى
الشكل ، وأخذت أفحصها حجرا حجرا ولكنى وجدتها
كلها متشابهة ولايوجد بينها أى حجر مميز بأية
علامة .. وسمعت صوت الرجل الحارس وهو يصيح
بى متسائلا :

— هاه .. هل وجدت شيئا .. ؟! هل ترى المكان
جيذا .. ؟ !

فصحت قائلا :

— لا .. لم أجد شيئا .. يا « الزفير » .. هل
انت متأكد من أن حبلك طوله ثمانون قدما بالضبط ؟!

وسمعت الرجلين يتحدثان مع بعضهما ولكنى لم
اسمع شيئا مما كانا يقولا .. وأخيرا صاح بى
« الزفير » :

— جون ٠٠ يقولون ان الأرض قد ارتفعت قليلا
في هذه المنطقة بمرور الزمن ٠٠ وعليك ان تبحث في
مكان أكثر عمقا من المكان الذي تقف فيه الآن ٠٠
وسوف ننزل بالبرميل قليلا فانظر جيدا ٠٠

واخذ البرميل ينزل بي مرة أخرى ولكن ببطء شديد
أتاح لي أن أفحص جميع الأحجار بدقة شديدة ٠٠
وقبالة لاحظت وجود علامة صغيرة على شكل حرف
« Y » وهو الشعار الذي كانت تتخذه عائلة « الموهون »
٠٠ اذن فالجوهرة الثمينة مخبأة خلف هذا الحجر ٠٠
لقد وصلت اليها أخيرا ٠٠ وطلبت من الرجلين أن
يتوقفوا عن انزال البرميل ٠٠ وأن يحركا البرميل قليلا
ناحية الجانب الآخر من البئر ٠٠

وأخذت أحفر حول الحجر محاولا زحزحته من
مكانه ٠٠ وسمعت مرة أخرى صوت الحارس وهو
يصيح :

— ماذا تعمل الآن ؟ ٠٠ هل وجدت شيئا ؟ ٠٠ هل
وجدت شيئا ٠٠ ؟ !

وتضايقت هذه المرة من صوت هذا الحارس ..
لماذا يصيح مثلها هكذا .. بينما ظل « الزفير » صامتا
طول الوقت .. ؟ !

وتمكنت أخيرا من زحزحة الحجر وخلعته من جدار
البئر ووضعته فى البرميل جوار قدمي .. ومددت يدي
الى داخل الثقب الذى كان يشغله الحجر فعثرت على
لفة صغيرة تحسستها باصابعي فاذا بداخلها شيء
صلب وكروى .. وما أن فتحت اللفة حتى وجدت
بداخلها ماسة ضخمة !!

لم أكن قد رأيت فى حياتي من قبل أية قطعة من
الماس .. لا صغيرة ولا كبيرة .. ومع ذلك فقد
أحسست أن هذه الماسة التى عثرت عليها هى أجمل
الماسات فى العالم .. كان ينعكس عليها ضوء الشمعة
التى كنت أحملها فى يدي الأخرى فيخرج منها على
الفور بريق من آلاف الألوان البديعة المبهرة .. ولم
استطع أن أبعد عيني عن جمالها وبريقها .. ومر
بذهني سيل الذكريات والأحلام التى كنت أصور نفسي

فيها سعيدا متمتعا بالغنى والثراء .. والعودة الى
« مون فليت » .. وحبى « لجريس » ..

وافقت على صياح الحارس من جديد :

— ماذا تعمل الآن ؟ .. هل وجدت شيئا ؟ ..

وصحبت بالرجلين اعلى البئر :

— نعم : .. لقد وجدت الجوهرة .. ارفعانى الآن
الى اعلى .. !!

واخذ البرميل يرتفع بسرعة .. وظلت الأحلام
تراودنى اثناء الصعود .. وتذكرت صوت « جريس »
العذب الجميل وهى تقول : كن حذرا .. ان هذه
الجوهرة قد تجلب لك التعاسة !

وعندما أصبحت قريبا من فوهة البئر ، توقف
الحارس عن جذب الحبل وأصبحت معلقا .. واندحشت
لأنه كان من المفروض أن يظل يسحب الحبل الى أن
أخرج سالما من البئر وأعود مرة ثانية الى الأرض ..
ولكنى لاحظت أن الحارس مد يده الى وقال :

– أين الجوهرة ٠٠ أين الجوهرة ٠٠ اعطني
اياها ٠٠ !!

ووضعت الماسة بين أصابعى لكى أريها «لألزفير،
٠٠ ولكن الحارس مد يده أكثر وأراد أن يخطفها ٠٠
ولاحظت فى عينيه شيئاً ذكرنى بحكاية علاء الدين
ومصباحه السحري ٠٠ وتذكرت أن علاء الدين رفض أن
يعطى المصباح للساحر قبل أن يخرجـه من داخل
الكهف ٠٠ لقد كان علاء الدين يخشى أن يحصل الساحر
على المصباح ثم يغلق عليه باب الكهف ويصبح مدقونا
تحت الأرض ٠٠ وعاون الحارس صياحه مرة أخرى :

– اعطني الجوهرة ٠٠ !

فاجبته بكل ثقـه :

– اخرجنى أولاً من البئر واعطيك الجوهرة ٠٠

فقال الحارس ببجـاحة :

– لا ٠٠ اعطني الجوهرة أولاً ٠٠ ان ذلك أكثر



في البئر ..

أمانا .. فريما تسقط الجوهرة من يدك أثناء خروجك
من حافة فوهة البئر .. !

ثم صاح مرة أخرى بصوت أكثر غضبا :

— قلت لك أعطني الجوهرة .. هاتها !!

وهنا تدخل « الزفير » الذي لم يقبل أن يحدثنى
الحارس بهذه الطريقة .. فقال له :

— ارفعة أولا خارج البئر .. ان الجوهرة ملك
لهذا الصبى ، وسوف نعطيك حقه الذى اتفقنا عليه وهو
ثلث قيمة الجوهرة بعد أن نبيعها ..

قال الحارس بطريقة شرسة :

— ان الجوهرة ليست ملكا له .. ولا ملكا لك أنت
ايضا .. انها ملكى انا .. لأن البئر بئرى انا .. وقد
سمعت لكما بالنزول الى البئر لاحضار الجوهرة ..
وسوف أقوم انا ببيعها وسأعطيك نصف قيمتها .. أما
هذا الصبى فسأعطيه قطعة نقرود ذهبية كمكافأة له ..
وهذا يكفى !

وقال « الزفير » :

— لا تكن غيبا .. ان الجوهرة ملك للصبي ..
وسوف يحصل على حقه كاملا ..

وقال الحارس بسرعة :

— انا لست غيبا بل انت الغيب .. ان اسمك هو
« الزفير بلوك » وهناك مكافأة قدرها خمسون جنيها
لن يقبض عليك .. ومكافأة أخرى قدرها عشرون
جنيها لن يقبض على هذا الصبي .. وانتما الآن فى
قبضة يدي ويمكننى ان احبسكما داخل هذا المبنى
الخشبي واسلمكما الى الجنود .. فهل انا الغيب ام
انت .. انى لن ادعكما تخرجان من هنا الا اذا اخذت
الجوهرة .. !

وعندما تبينت هذا الموقف الغريب من جانب
الحارس ، خبات الجوهرة داخل ملابسى .. وقررت
ان ابذل كل جهدى فى الدفاع عنها بكل طريقة ممكنة ..

ونظرت الى اعلى ولاحظت ان الحارس قد اخرج
مسدسه من جيبه .. فصاحت على « الزفير » محذرا :

— احترس يا « الزفير » .. احترس !

وفى تلك اللحظة ضوب الحارس مسدسه نحو
« الزفير » وقال مهددا :

— اياك ان تتحرك .. انى اقبض عليك الآن ..
واذا صدرت منك اية حركة فساطلق عليك النار وارديك
قتيلا واحصل على الخمسين جنيها ..

وفجأة أطلق الحارس النار صوب « الزفير » الذى
كان يقف على الجانب المقابل من حافة البئر .. وكان
من المتوقع ان « الزفير » قد اصيب بالطلقة التى اطلقت
عليه من تلك المسافة القريبة .. ولكن الطلقة طاشت
وضربت الحافة العليا للبئر ولم يصب « الزفير » بشئ ..
وعندئذ القى الحارس مسدسه الفارغ من الرصاص
واندفع نحو « الزفير » فى هجوم وحشى .. وامسك
رقبة « الزفير » بين يديه ..

كان الحارس أكثر شبابا ، ولكن « الزفير » كان أكثر قوة .. ونشبت بين الرجلين معركة شرسة ..

وبذلت كل جهدي حتى صعدت خارجا من البئر لكي أساعد « الزفير » في معركته ضد الحارس .. ولكني لما أن وقفت الى جانب حافة البئر حتى وجدت « الزفير » في غير حاجة الى مساعدتي .. كان قد تغلب على الحارس وأوشك أن يلقى به على الأرض .. وكانت ذراعا الحارس تحيطان بجسم « الزفير » .. ولكنه رفعهما ومدهما ليمسك برقبة « الزفير » مرة أخرى وفي تلك اللحظة ألقاه « الزفير » على الأرض بقوة .. وقام الحارس بسرعة وتراجع عدة خطوات الى الخلف ليعاود هجومه مرة أخرى .. فاذا به ينزلق على المياه التي كانت تحيط بحافة البئر ، فسقط على الأرض وقدماه مرفوعتان الى أعلى ورأسه متجه الى أسفل وسقط في فوهة البئر .. وفي لمح البصر مددت يدي لكي أمنعه من السقوط ، الا أن يدي لم تمسك الا بسلسلة المفاتيح التي كانت معلقة في حزام حول

وسطه ٠٠ وسقط الحارس فى فوهة البئر وأحدث
سقوطه صوتا مرعبا وهو يتخبط فى جدران البئر ثم
دوى الصوت مرة أخرى حين سقط فى مياه البئر ٠٠
وتلا ذلك صمت تام ٠٠

أسرع « الزفير » نحو البرميل ، ودخل الى فوهة
البئر وهو يقول :

— هيا ياجون ٠٠ انزلنى بسرعة ٠٠ سأحاول أن
انقذه ٠٠ !

وأدليت البرميل بسرعة الى أسفل البئر ٠٠ وأخذت
انصت باهتمام لأعرف النتيجة ٠٠ وأخيرا طلب منى
« الزفير » أن أرفع البرميل الى أعلى ٠٠ وعندما خرج
من البئر لزم الصمت وعرفت بذلك أن الحارس قد
مات !

وقلت متحسرا :

— دعنا نلقى هذه الجوهرة فى البئر يا « الزفير »
انها لن تجلب لنا سوى القعاسة والموت !

فقال « الزفير » :

— لا .. اعطني الجوهرة لاحتفظ بها من أجلك ..
انا لا أريد شيئاً منها ولا أرغب في الحصول من ورائها
على أى كسب .. أريد فقط أن امنعك من القائها في
البئر !

وهكذا أعطيت الجوهرة « لالزفير » ..

وعدنا بسلام الى حانة « باجل » .. وجمعنا
حاجياتنا بسرعة .. واعتذرنا لصاحب الحانة بأن
عملاً ما جعلنا نرحل بسرعة .. واتجهنا الى الميناء
القريب من الحانة .. وركبنا سفينة هولندية كانت
على وشك الرحيل فوراً الى هولاندا ! ..

الفصل الثامن عشر

ضياع الجوهرة ..

وانزلتنا السفينة في ميناء « لاهاي » بهولاندا ..
وتعتبر هذه المدينة افضل مكان في العالم لتجارة الماس
.. وكان « الزفير » يعرف بعض اللغة الهولندية وذهبنا
على الفور لنبحث عن تاجر ماس مناسب يمكن ان نبيعه
جوهرتنا ..

وعلمنا ان « الدوبراند » هو اغنى تجار الماس
وأكثرهم شهرة ..

وقبل غروب الشمس بنحو ساعة ، ذهبنا الى بيت
هذا التاجر .. وكان بيتا غير مرتفع ، يطل على الطريق

الرئيسى ، وجدرانه مطلية باللون الأبيض بينما طليت
نوافذه باللون الأخضر .. وكانت هناك حديقة واسعة
ملحقة بخلف البيت .. وقرعنا جرس الباب ، ففتح
لنا خادم طويل الجسم فأخبرناه باننا نريد أن نبيع
جوهرة ..

دعانا الخادم الى الدخول .. وذهب ليخبر سيده
بهذا الأمر .. وبعد عدة دقائق جاء التاجر «الدوبراند»
لمقابلتنا .. وكان ضئيل الجسم ويبلغ عمره نحو
سبعين سنة .. وقال لنا بصوت هادئ :

— ماذا يا ابنائى .. لقد سمعت أن لديكما جوهرة
تريدان بيعها .. أنا لا أتعامل فى الجواهر العادية ..
فلا تريانى اياها الا اذا كانت تستحق ..

فى تلك اللحظة كنت امسك بالجوهرة بيدي ،
فقدمتها اليه .. ورأيت ملامح الدهشة تبدو واضحة
فى وجهه حين امسك بالجوهرة ورأى حجمها ..
وامسك التاجر بالجوهرة بين أصابعه ليفحصها عن

قرب ٠٠ وتغيرت نبرات صوته وهو يقول لنا هذه
المرة :

— لا يوجد هنا ضوء كاف ٠٠ تعال يا معي ٠٠ !

وتبعناه الى غرفة أخرى ٠٠ ومن نافذة هذه الغرفة
تظهر الحديقة الملحقة بالبيت وقد غمرت بها الأشعة
الحمراء للشمس البغارية ٠٠ وجلس « الدوبراند » الى
مائدة فى وسط الغرفة ، وأمسك الماسة بين أطراف
أصابعه وعرضها للضوء وأخذ يتفحصها بكل عناية
واهتمام ٠٠ ولم استرح لهذا الرجل الذى التفت الى
فجأة وسألنى :

— ما اسمك أيها الصبى ٠٠ ومن أين جئت ٠٠ ١٩

وفوجئت بالسؤال فأجبت به بقاء :

— اسمى جون ترنشارد ٠٠ وجئت من مون
فليت ٠٠

وزغدى - « الزفير » ليحذرنى ولكن الوقت كان قد
فات ولم ينفع هذا التحذير ٠٠ ولشدة دهشتى لاحظت

ان التاجر قد دون اسمى فى دفتر كان موضوعا على
المائدة •

وقد تبدو كتابة اسمى فى هذا الدفتر كشىء طبيعى
ومتوقع بالنسبة لآى تاجر مجوهرات •• ولكنى لا أدرى
لماذا أغضبنى هذا التصرف •• بالرغم من أن الأحداث
قد أثبتت فيما بعد أن قيام هذا التاجر بكتابة اسمى
وموطنى فى دفتره كان أهم شىء حدث فى حياتى
كلها •• !

ونظر الى التاجر بعد أن كتب ماكتب وقال :

— هاه •• من « مون فليت » •• ولكن قل لى كيف
حصلت على هذه الجوهرة •• ؟ !

أجاب « الزفير » على هذا السؤال بسرعة :

— اننا لم نحضر الى هنا لنجيب على أسئلتك ••
بل لنعرف اذا كنت ترغب فى شراء هذه الجوهرة أم
لا •• وما هو الثمن الذى يمكنك أن تدفعه •• ويكفى

ان تعرف أننا بحسارة انجليز ٠٠ وأن هذه الجوهرة
ملكنا ٠٠ وأتينا نريد بيعها ٠٠ !

قال القاجر العجوز :

- نعم نعم ٠٠ أعرف ذلك ٠٠ ولكن لأنى لا أعرف
المصدر الحقيقى لهذه الجوهرة ٠٠ فان من اللازم أن
أفحصها جيدا حتى أتأكد من أنها جوهرة حقيقية
وليست مزيفة ٠٠

ثم أحضر زجاجة صغيرة بها سائل أخضر ، ووضع
نقطة منه فوق الجوهرة ، ثم حكها فى حجر أسود ٠٠
وكنت أرقب ملامح وجهه وهو يقوم بهذا الفحص ٠٠
ولكنى وجدت وجهه جامدا وكأنه قد من حجر ٠٠
وأخيرا صدمنا بقوله :

- جون ٠٠ يابنى ٠٠ هذه الجوهرة ليست ماسة
حقيقية ٠٠ انها مصنوعة من الزجاج ٠٠ ولكنها
مصنوعة جيدا وبدقة شديدة ٠٠ وهى مع ذلك أحسن
قطعة من الزجاج رأيتها فى حياتى ٠٠ ولكنها ليست
من الماس !

اظلمت الدنيا فى عينى وكدت أسقط على الأرض
مغشياً على .. لقد تبددت فى لحظة كل أحلام الثراء
.. لقد ذهبت كل جهودنا والمخاطر التى واجهناها
ادراج الرياح .. وحزنت حزناً لم أشعر بمثله من قبل
طوال حياتى .. وقال التاجر العجوز مشفقاً وكأنه
يواسينا :

— لا ياجون .. لا يابنى .. لا تكن تعيساً الى هذا
الحد .. أنا لم أقل أنها لاتساوى شيئاً .. فبالرغم من
أنها مصنوعة من الزجاج ، إلا أنها مصنوعة بطريقة
فنية جيدة .. وسوف أعطيكما عشرة قطع من النقود
الفضية ثمناً لها !

وهنا قال « الزفير » غاضباً :

— لا .. أننا لم نحضر الى هنا لنحصل على
نقودك الفضية .. نحن فى غنى عنها ويمكنك الاحتفاظ
بها .. !

وبغضب شديد التقط « الزفير » - الجوهرة من يد

التاجر ، وقذف بها من النافذة .. فصاح التاجر
« السوبراند » وهو يقفز من فوق مقعده :

— هل أنت مجنون أيها الرجل ؟ ! .. لماذا فعلت
هذا .. لماذا .. !!؟

حين ألقى « الزفير » بالجوهر من النافذة ..
رأيتها تطير في الهواء ، واستقرت على أرض الحديقة
جوار زهرة حمراء كبيرة .. وعندما خرجنا يائسين
من بيت التاجر ، سرنا صامتين في الشارع عائدين
الى الحانة التي كنا نقيم فيها دون أن نتبادل كلمة
واحدة .. ووصلنا الى الحانة أخيرا .. وجلسنا
لتناول وجبة العشاء ..

وبطبيعة الحال كان ذهني مشغولا بما حدث ..
واخذت القلب الأمر من جميع جوانبه .. وفجأة توقفت
عن تناول الطعام ، وفزعني واقفا وقلت :

– الزفير .. اننا بلهاء .. ان الجوهرة ماسية
حقيقه .. لقد استطاع التاجر أن يغشنا ولم يقل لنا
الحقيقة !

نظر الى « الزفير » فى صمت للحظة وجيزة ..
ثم قال فى هدوء وحيرة :

– قد تكون على صواب يا جنون .. ولكننا
القيناها من النافذة ولن نستطيع العثور عليها ..

قلت بشيء من الارتياح :

– ولكن رأيتها وهى تسقط فى الحديقة ..
وأعرف أين سقطت بالضبط !

وتساعل « الزفير » :

– ولكن ألا تظن أن التاجر « الدوبراند » قد رآها
وهى تسقط ويعرف مكانها .. ؟!

وذكرنى هذا السؤال بأنى قد رأيت التاجر وقد
جحظت عيناه وهو يتتبع مسار الجوهرة حين ألغاها

« الزفير » من النافذة .. ولكنى لا أدري ما اذا كان يعرف أين سقطت بالضبط أم لا .. ولذلك فقد قلت :

— لا أدري يا « الزفير » .. دعنا نذهب لنرى ..
أنا متأكد من أن الجوهرة قد سقطت بجوار زهرة حمراء كبيرة ذات ساق طويلة .. هيا نذهب فسوف نجدها هناك !

وظل « الزفير » صامتا: نحو دقيقة ثم قال :

— انا محتار فعلا .. ولكن يبدو أنك على صواب يا جون .. واعتقد الآن أن الجوهرة ماسة حقيقية . بل وكنت أعرف أنها ماسة حقيقية عندما ألقيتها من النافذة .. وأنا على يقين بأننا سنعيش سعداء بدونها .. فبمقدورنا أن نسمعنا عنها واكتشفنا سر مخبئها ونحن لم نحصل على شيء سوى التعاسة .. وما نحن الآن بعيدين عن وطننا .. وهناك رجالان قد قتلنا .. دع هذه الجوهرة تذهب الى حال سبيلها .. دعها حيث هي وأينما تكون . لا داعى للبحث عنها حتى نتحاشى التعاسة التى تسببها !

ولكنى لم اقتنع .. وأصررت على الذهاب الى
الحديقة لاستعادة الجوهرة .. ولم يجد « الزفير »
مناصا سوى أن يصاحبنى ويذهب معى .. !

كان ظلام الليل قد حل حين كنا نتسلق السور
الحجرى الذى يحيط بحديقة بيت التاجر « الدوبراند »
.. وما أن أصبحنا فى أرض الحديقة حتى تقدمت الى
مكان الزهرة الحمراء الكبيرة ذات الساق الطويلة
وأخذت أتحسس الأرض بيدي .. تحسستها قطعية
قطعة ولكنى لم أعر على شيء .. وقلت « لالزفير » :

.. لقد اختفت الجوهرة .. لابد أن « الدوبراند »
قد سبقنا فى الوصول اليها .. لقد أخذها هذا التاجر
الغشاش !

ونظرت تجاه بيت التاجر ، فرأيت نورا مضاء
خلف إحدى النوافذ .. فاقتربت من النافذة واقتربت

معى « الزفير » .. وشاهدنا التاجر وهو جالس الى
مائدة وأمامه الجوهرة الثمينة .. ماستنا التي فقدناها
وحصل هو عليها دون حق .. انها اذن ماسة حقيقية ..
وكان التاجر قد وضعها بجانب مجموعة أخرى من قطع
الماس .. ولكنها كانت تبدو قطعاً صغيرة تافهة بجانب
ماستنا العملاقة .. وطفى جمال ماستنا على جميع
قطع الماس الأخرى .. وخيل الى ان ماستنا العظيمة
تنادينى بصوت جميل أسمعه فى أعماقى : ألسنت أجمل
ماسات العالم .. ألسنت ملكة على جميع الماسات
الأخرى .. ألسنت مملوكة لك أنت وحدك .. هيا تقدم
واستعدنى من بين يدي هذا التاجر !!

ولم أفق من هذا إلهيال الا عندما لمسنى « الزفير »
فى نراعى وهمس فى أذنى :

– هيا يا « جون » .. دعنا نعود .. اننا لانريد
هذه الجوهرة التى لن تجلب لنا الا التعاسة والشقاء
.. هيا نعود يا « جون » .. ألا تسمعنى ؟ !

كنت أسمعه فعلاً ولكنى لم أقتنع بأية كلمة .. ولم
يكن يدور فى ذهنى أى شىء سوى ضرورة استعادة

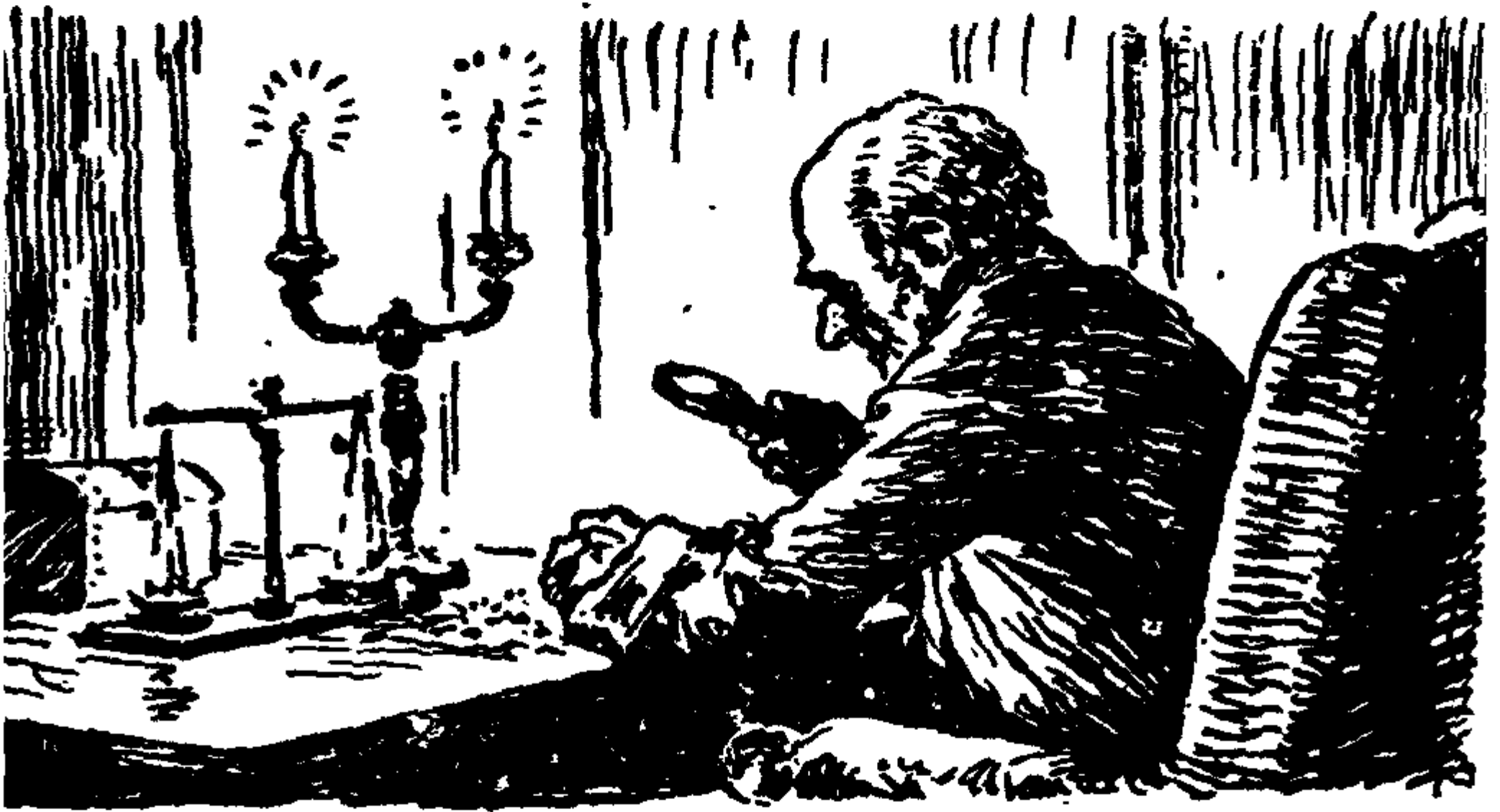
هذه الماسة .. ووجدت نفسي أصعد الى حافة النافذة
بكل سرعة ، واقفز الى داخل الحجرة التي كان يجلس
بها التاجر ، وتقدمت في لمح البصر الى المائدة وأمسكت
الجوهره بيدي ..

ولكن في هذه اللحظة بالضبط ، هب التاجر
« الدوبراند » واقفا وأخذ يصيح مذعورا :

— النجدة .. النجدة .. لصوص .. لصوص !

وفي الحال دخل ستة من الخدم .. وأحاطوا بنا
.. وقبضوا علينا !





وكان « الدويراند » يفحص الجوهرة بعناية

الفصل التاسع عشر

السجن ..

قدمونا الى المحاكمة .. وطبعاً لم يصدق القاضى
اية كلمة من قصتنا التى حكيناها بكل تفاصيلها ..
وحكم علينا بالسجن ! ..

وبعد عدة ايام اخذونا الى سجن بعيد يسمى
« ايمجوين » .. وربطوا ايدينا بحبل طويل مع
سجناء آخرين .. وساروا بنا عبر طريق طويل شاق
يؤدى الى ذلك السجن ..

وبعد ان بقيت فى هذا السجن نحو اسبوع ..
جاء بعض الحراس واخذونى الى كوخ صغير .. وفى

وسط هذا الكوخ من الداخل رأيت كرسيًا ضخمًا
أجلسني الحراس عليه وأوثقوني بالحبال حتى أصبحت
وكأنى أنا وهذا الكرسي قطعة واحدة .. ولم أكن
أدرى حتى هذا الوقت ماسوف يفعلونه بى بعد أن
كتفوني كل هذا التكتيف ..

ثم أدركت ماسوف يفعلونه بى .. لقد رأيت نارا
مشتعلة فى هذا الكوخ القذر المملوء برائحة كريهة ..
وجاءوا ، بختم مصنوع من الحديد المحمى بالنار ،
ووسموني على جبهتى بعلامة على شكل حرف « Y »
وهو أول حرف من « ايمجوين » اسم هذا السجن ..
وذلك حتى يعرف الجميع انى سجين اتبع هذا السجن
الرهيب ..

وهكذا خرجت من هذا الكوخ المرعب ، وعلى
جبهتى حرف « Y » وهو الحرف الذى كانت تتخذه
عائلة « الموهون » شعارا لها ..

وبعد مرور عدة أيام قابلت « الزفير » اثناء العمل

فى ساحة السجن ٠٠ وكان يحمل هذه العلامة أيضا
على جبهته ٠٠

ومرت سنوات طويلة ٠٠

كل يوم من الأيام كان شبيها باليوم السابق ٠٠
ولا تغيير اطلاقا ٠٠ نخرج الى العمل الشاق ٠٠ ونعود
لتناول الطعام الرديء ٠٠ ثم ننام لنحاول ان ننسى
هذا العذاب ٠٠ !

الفصل العشرون

العاصفة . .

وفى يوم ما بعد انقضاء عشر سنوات فى هذا السجن اخرجنا الحراس لا لنعمل فى الأشغال الشاقة فى الأماكن المعتادة ، وانما سلمونا لمجموعة من الجنود المدججين بالسلاح ، تولوا حراستنا حتى وصلنا الى ميناء « لاهاي » . . وهناك افهمونا أننا سنركب سفينة ستأخذنا الى جزيرة « جاوه » وهى جزيرة تابعة لهولاندا وتبعد عن أوربا عدة آلاف من الأميال وتقع وراء الهند . . وأخبرونا أننا سنعمل هناك فى المزارع الهولندية لقصب السكر ! . .

وكانت هذه المصيبة الجديدة نهاية محزنة لكل
أمالى ٠٠ فلن أتمكن أبدا من رؤية « جريس » مرة
أخرى ٠٠ ولن أعود أبدا الى « مون فليت » ٠٠ وطوال
السنوات العشر الماضية لم أفقد الأمل ، وكنت أتصور
أننى سأستطيع الهرب يوما ما ٠٠ أو ربما كانوا
سيطلقون سراحى بعد مدة لا أعرفها ٠٠ ولكن الآن
ضاعت كل هذه الآمال والتوقعات ٠٠ ضاعت الى
الأبد ٠٠

وكان « الزفير » أيضا ضمن السجناء المرحلين الى
جزيرة « جاوه » ٠٠ لقد أصبح الآن رجلا عجوزا شاب
شعر رأسه وابيض ٠٠ أين هو الآن من تلك الليلة ذات
الأحداث والمغامرات فى « رأس هور » ٠٠ حيث كان
أسود الشعر ومملوءا بالقوة والنشاط والجسارة ٠٠ !

ولاحث فى خيالى أيضا تلك الأمسية البديعة التى
لن أنساها أبدا حين جلست مع « جريس » فى حديقة
بيتها ٠٠ استمع الى صوتها العذب الرقيق ، وهسى
تحدثنى على عدم التفكير فى تلك الجوهرة ٠٠ وتحذرنى

من أنها لن تحقق لى سوى الشقاء والتعاسة ٠٠ لقد
تحققت بالفعل كل كلمات « جريس » وتوقعاتها ٠٠

وصلنا الى «لاهاى» ٠٠ و صعدنا الى السفينة التي
ستقوم بالرحلة الى «جاوه» ٠٠ وشعرت بشيء من
السعادة حين تسللت الى أنفى رائحة نسيمات البحر
مرة أخرى ٠٠ ولكن هذه السعادة انقلبت حزنا وغما
حين أقلعت السفينة بادئة رحلتها الى تلك البلاد
البعيدة ٠٠

أبحرت السفينة لمدة يومين فى بحر هادئ ٠٠
وفى اليوم الثالث هبت عاصفة ٠٠

وكان معنا فى عنبر المسجونين عشرون سجيناً
انتابهم الرعب خوفاً من تلك العاصفة لأنهم لم يركبوا
البحر من قبل وكانت هذه هى تجربتهم الأولى ٠٠ أما
بالنسبة لنا - أنا والزفير - فقد اعتدنا على مثل هذه
العواصف ٠٠

ولكن عندما بدأت الرياح تشتد وتهب في عنف
واخذت الأمواج تضرب السفينة من كل جانب ، قال
« الزفير » :

– أعرف سفنا أكبر من هذه السفينة وأقوى منها
كان مصيرها الغرق والتحطم في مثل هذه العاصفة
العاتية .. وأنا اعتقد اننا بالقرب من أحد السواحل ..
وأرجو ألا نكون قريبين من هذا الساحل حتى لا تقذف
الأمواج بالسفينة وتحطمها على صخور الشاطئ !!

في تلك اللحظة فتح باب عنبر المساجين .. ولم
نر الجنود الذين كانوا يحضرون إلينا الطعام كالمعتاد
.. بل رأينا رجلا من بحارة السفينة قال وهو يلقي
إلينا بمفتاح الباب :

– ليساعدكم الله .. تصرفوا بسرعة .. !!

واختفى الرجل ..

وفهم « الزفير » مايعنيه هذا البحار وقال لبقية
السجناء :

— معنى هذا أن السفينة ستغرق ٠٠ وأنهم يعطوننا
فرصة للنجاة ٠٠ !

وقام « الزفير » بفك قيوده وقيود جميع السجناء
الآخرين ٠٠

وكنت أول من خرج من العنبر الى سطح السفينة
٠٠ ولاحظت على الفور أن الجنود والبحارة قد غادروا
السفينة في قوارب النجاة ٠٠ ولم يعد باقيا فيها غيرى
أنا و « الزفير » وباقي السجناء .

كانت العاصفة فى عنفوانها ٠٠ وأشار « الزفير »
الى شىء بعيد يظهر خلال طبقات الظلام وسيول المطر
المنهمر ، واقترب من اذنى وصاح بأعلى صوته :

— نحن قرييون من الساحل !

وأخذت الأمواج العاتية تدفعنا نحو الشاطئ
وصخوره الضخمة . وبدأت أرى تلك الأمواج وهى
تتكسر على تلك الصخور محدثة أصواتا مرعبة مخيفة
٠٠ ومن الواضح أننا كنا فى أحد الخلجان ٠٠ ورأيت

تلا مرتفعاً يبدو شامخاً من بعيد ٠٠ وقد ذكرنى منظره
وشكله بتل أعرفه ورأيتـه مراراً من قبل ٠

واقترب منى « الزفير » وصاح فى أذنى ولكن
بصوت مبتهج هذه المرة وينم عن الفرح :

— انظر ٠٠ انظر يا جون !!

ونظرت الى حيث أشار ٠٠ وأدركت على الفور أننا
فى خليج « مون فليت » ٠٠ !!

وفى الحال تبددت كل آثار الحزن من وجهـه
« الزفير » وامتلاً قلبه بسعادة غامرة ٠٠ وصاح فى
أذنى :

— ان قوة خفية وغريبة أخذت بيدنا وأعادتنا الى
الوطن ٠٠ خير لى ألف مرة أن أموت غريقاً فى سفينة
تحطمت على صخور خليج « مون فليت » من قضاء
كل عمرى سجيناً محروماً من الحرية ٠٠ اسمع يا جون
٠٠ اننا سنهلك حتماً فى ظرف أقل من ساعة ٠٠ ومع

ذلك فان علينا أن نبذل كل وسعنا فى الكفاح من أجل
الحياة .. !

أما بقية السجناء الآخرين فقد انخلعت قلوبهم من
شدة الرعب والاحساس بالخوف من الموت .. وركع
بعضهم أمام « الزفير » يستجدونه فى أن يقود بهم
قارب النجاة الوحيد الباقي فوق ظهر السفينة . ولكن
« الزفير » كان يعرف مدى خطورة النزول الى البحر
الهائج فى مثل هذه العاصفة وفى مثل هذا القارب ..
فصاح عاليا لىسمع الرجال صوته :

— يا أصدقائى .. ان النزول الى البحر الآن
معناه الموت والهلاك غرقا .. انى اعرف تماما هذا
الخليج .. واذا كنتم تريدون النجاة حقا فعليكم بالبقاء
على ظهر السفينة .. سوف نصل الى صخور الشاطئ
بعد نحو نصف ساعة من الآن .. وستحطم السفينة

على هذه الصخور .. وعلى كل واحد منا عندئذ أن
يكافح من أجل نجاته .. !

ولكن السجناء لم يقتنعوا بهذه النصيحة ، وانزلوا
قارب النجاة الى البحر وركبوه وانطلقوا الى مصيرهم
المحتوم .. وهكذا أصبحنا وحدنا على السفينة الموشكة
على الغرق والتي تتقاذفها الأمواج العالية وتدفع بها
الى الارتطام بالصخور ..

واقتربنا رويدا من المنطقة الخطرة التي تتكسر
عليها أمواج البحر العاتية موجة وراء موجة حيث
تتخلف عنها ملايين الفقاعات البيضاء وكأن مياه البحر
تفور بالزبد .. وفي كل مرة تضطرم فيها إحدى
الأمواج العنيفة بصخور الشاطئ يدوى صوت الارتطام
الرهيب فى انحاء « مون فليت » كلها .. وكثيرا
ماكنت اسمع مثل هذا الهدير المرعب وأنا راقد على
سريري مستيقظا فى بيت خالتي .. وأعرف جيدا ما
اعتاد أهالى « مون فليت » أن يفعلوه فى مثل تلك

العواصف ، خصوصا عندما يشاهدون سفينة تلعب بها
الأمواج قبل أن تحطمها على صخور الخليج ..

فى تلك اللحظات تخيلت تماما مايفعله أهالى
« مون فليت » الآن وهم يرون سفينتين موشكة على
المفرق .. تخيلت « راتسى » ومعه مجموعة من رجال
القرية يحملون المصابيح ويراقبون السفينة والرياح
تحطم صواريخها وتمزق أشرعتها .. ويشعر جميع
الرجال بالحزن والأسى وهم يفكرون فى كيفية تقديم أية
مساعدة لانقاذ الأحياء الراكبين فوق ظهر السفينة ..
وسمعت صوت « الزفير » ينادينى :

— جون .. انظر .. !!

وخلال اطباق الظلام وسيول المطر ، رأيت نقطة
من الضوء تلمع مثل الجوهرة .. وقال « الزفير » :

— انها « منارة ماسكيو » .. الا تذكرها .. ؟!

أه .. هاهى « جريس » مازالت وفيه بالعهد الذى
قطعته على نفسها .. لقد وعدتني بأنها ستشعل شمعة

خلف نافذتها كل ليلة حتى يهتدى بها بحارة السفن
العابرة الى أن أعود اليها مرة أخرى .. انها مازالت
تنتظرني .. وهانذا عائد اليها الآن .. ولا يفصلني
عنها سوى هذه الأمواج البيضاء العاتية التي تحمل
الموت فى طياتها ..

ولاحظت أن عدد المصابيح التى كان يحملها رجال
« مون فليت » قد ازداد .. ولاشك انهم يرقبون الآن
هذه السفينة التى تتحطم قطعة قطعة فى مهب الرياح
والأمواج .. وهم لا يعرفون طبعاً أن هذه السفينة
لا تحمل على ظهرها سوى اثنين من الرجال .. وأن
هذين الرجلين من أهالى « مون فليت » ..

وبدأت السفينة تقترب أكثر وأكثر من أرض
الشاطئ لتلقى نهايتها المحتومة .. واشتد عويل
الرياح وصخب الموج .. وصاح « الزفير » :

— لقد اقتربت النهاية .. وعلينا أن نلقى أنفسنا

الى البحر مع قدوم الموجة التالية ٠٠ والآن ٠٠ هاهى
موجة قادمة ٠٠ اقفز يا جون ٠٠ اقفز معى ٠٠ !

وقفزنا ٠٠ !

وسقطت على يدي وركبتي فى منطقة لايزيد
عمقها على متر واحد ٠٠ ووقفت على قدمي ٠٠ ولكن
المياه الصاخبة غلبتني وانكفيت على وجهي ٠٠ وحاولت
الوقوف ثانية ٠٠ ورايت الرجال الواقفين على الشاطئ
وقد تقدموا الى الخوض فى مياه البحر وكل منهم
يمسك بيد الآخر ٠٠ انهم الآن يتقدمون لانقاذنا والاخذ
بايدينا ٠٠ ولكنى انكفيت مرة ومرة ٠٠ وانهضنى
« الزفير » من عثرتى وأوقفنى ثانية ٠٠ ولم اعد ارى
شيئا ٠٠ ولكنى احسست بيد قوية تمسك بيدي ٠٠ !



وتقدم الرجال لانقاذنا ..

الفصل الحادى والعشرون

العودة الى ((مون فليت)) . .

غبت عن وعيى ساعات طويلة . .

وعندما افقت . . وجدت نفسى راقدا على سرير
فى حجرة بها مدفأة موقدة . . وفتحت عينى بصعوبة
. . ورأيت رجلين جالسين الى مائدة قريبة من سريرى
. . وكانا يتحدثان بصوت منخفض . . وقال احده
الرجلين :

- يبدو انه سيستيقظ . . ربما سيعيش ليحكى لنا
من هو . . وماذا حدث . . لابد ان نقسم اليه بعض
الشراب الساخن لأن الليلة باردة . . والمكان هنا فى

هذه الحانة بارد أيضا .. تصور يا صديقي انى لم
أدخل الى حانة « هواى نوت » هذه منذ أكثر من عشر
سنوات .. منذ أن غادرها « الزفير » ! ..

وعندما سمعت اسم « الزفير » قمت جالسا فوق
السريير وأنا أشعر بأن الألم يكاد يحطم جميع أعضاء
جسمى .. والتفت حولى فى جميع أنحاء الحجرة بحثا
عن « الزفير » .. ولكنى لم أجد فى الحجرة أحدا
سوى هذين الرجلين .. ولذلك فقد صرحت ملقاعا
والخوف يملأ قلبى :

.. الزفير !! .. أين الزفير ؟! .. أين هو .. ؟!

وتقدم الى أحد الرجلين وهو يحاول أن يهدئنى ..
والتفت الى زميله الآخر وقال :

.. انه يخطر فى باله انه يهدئ !

فصرخت بالرجلين مرة أخرى :

— انا لا أخطر ولا أهذى . . . انى أسألكما عن
« الزفير بلوك » . . . أين هو ؟ !

وعندما سمع الرجلان هذا الاسم ، نظر كل منهما
الى الآخر نظرات حائرة . . . واقترب منى أحد الرجلين
فتذكرت على الفور ملامحه . . . انه « راتسى » . . . !

وقال « راتسى » مذهشا :

— من أنت . . . من انت الذى تعرف الزفير بلوك ؟ !

وقلت له وانا أكثر منه دهشة :

— الا تعرفنى يا « راتسى » . . . لقد افترقنا منذ
زمن طويل . . . ولكنى تذكرتك الآن . . . قل لى أين
« الزفير » . . .

احتضننى « راتسى » وأمسك يدي بين راحتيه
وأخذ يسألنى فى لهفة . . . أين كنت . . . ومن أين جئت
. . . وما قصة هذه السفينة . . . ولكنى قلت له بالحاح :

— سأحكي لك كل شيء فيما بعد .. ولكن أخبرني
الآن أين « الزفير » ..

نظر الى « راتسى » وقد بدت غلى ملامح وجهه
علامات الحيرة والدمشة وقال بصوت هادىء :

— الزفير ؟ ! .. لا أدرى أين الزفير .. هل كان
معك على ظهر السفينة ؟ !

فقلت وقلبي يكاد أن يتفجر فى صدرى :

— كان معى ؟ ! .. انه هو الذى أنقذ حياتى ..
انه هو الذى أوقفنى على قدمى بعد أن صفعتنا آخر
وجه .. انه هو الذى كان يأخذ بيدي حتى أخسر
لحظة .. !!

وارتسم حزن جارف على وجه « راتسى » وهو
يقول بصوت كسبر :

— اذن فقد كان الزفير معك حتى آخر لحظة ..

يا للمسكين .. ان احدا لم يخرج من تلك السفينة حيا
سواك .. انت الوحيد الذى خرجت حيا .. !

وبعد يومين كاملين ، قذفت الأمواج بجثة
« الزفير » الى ارض الشاطئ .. وحمله الرجال الى
حانة « هواى نوت » وأرقدوه على المائدة الرئيسية ..
نفس المائدة التى رقد عليها من قبل ابنه القتل « دافيد » .

وقف الرجال حولى نحو دقيقة او دقيقتين .. ثم
أخذوا ينصرفون واحدا وراء الآخر .. وظل « راتسى »
واقفا امامى صامتا .. وأخيرا بدأ يتكلم بصوت
حزين :

— سأتركك وحدك مع صديقك .. وسأعود اليك
مرة ثانية قبل أن يحل الظلام ..

ثم انصرف « راتسى » وتركنى وحدى مع صديقى
الذى خطفه الموت فى آخر لحظة بعد أن انقذ حياتى ..

وامتلاً قلبي بحزن عميق .. ودارت في ذهني مئات
الذكريات ..

كان التراب يغطي كل أرجاء الحانة من الداخل ..
وكل شيء ظل كما كان في ليلة المزاد الكثيبة منذ أكثر
من عشر سنوات .. بل ورأيت الشمع المتجمد الذي
سال من الشمعة بعد أن سقط الدبوس .. مازالت هذه
الآثار كما هي .. !

ثم جلست على مقعد جوار نار المدفأة .. ووضعت
رأسى بين يدي وغرقت في الأحزان ..

ولا أدري كم مر من الوقت حين شعرت بحركة
خطوات تقترب .. وظننت أن « راتسى » قد عاد كما
وعد .. ولكنى شعرت بيد رقيقة وضعت بحنان فوق
نراعى ، والتفت خلفى .. فإذا بى أجد أمامى شابة
طويلة فى غاية الجمال والرقصة .. كانت « جريس »
بنفسها .. !

قالت « جريس » بصوت رقيق ناعم :

– جون .. هل نسيتى ياجون .. هل رأيت نور
الشمعة التى كنت أوقدها كل ليلة انتظارك لعودتك ..
هل نسيت أن لك أصدقاء هنا ؟ !

قلت وأنا أمسك بيدها بين راحتى :

– لم أنس شيئاً يا عزيزتى .. كل الأشياء أنكرها
ولم تغب عن ذهنى طوال السنوات الماضية .. وانت
عندى أغلى الناس جميعاً .. ولكنى لا أستطيع الكلام
عن الحب .. فأنت الآن امرأة محترمة وعظيمة .. وما
أنا سوى انسان فقير لا يملك شيئاً .. وأحمل علامة
السجناء فوق جبهتى .. !

وقالت « جريس » برقة وحنان أكثر :

– لا تتحدث عما تملك أو مالا تملك .. ان المال
لايصنع الرجال .. لقد عدت الآن ياجون وانت أكثر
ثراء بتجاربك فى الحياة .. !

واستمر حديثنا جوار تار المدفأة لفترة طويلة ..
وتعجبت كثيرا من أمر تلك الشابة الجميلة العظيمة ..
كيف تحتفظ لى بمكان فى قلبها .. وما انا سوى انسان
فقير لا يملك شيئا ؟ !



الفصل الثانى والعشرون

النهاية ..

لم يعد باقيا سوى بعض التفاصيل الصغيرة ..
ولكنى أريد أن أخبركم أولا بشأن الجوهرة الثمينة التى
ضاعت منى فى هولندا ..

وصل الى انجلترا « الهر روستن » وهو أحد
رجال القانون الهولانديين الذى يعملون فى « لاهاى »
وأرسل الى خطابا قانونيا طويلا يتضمن معلومات فى
غاية الغرابة ..

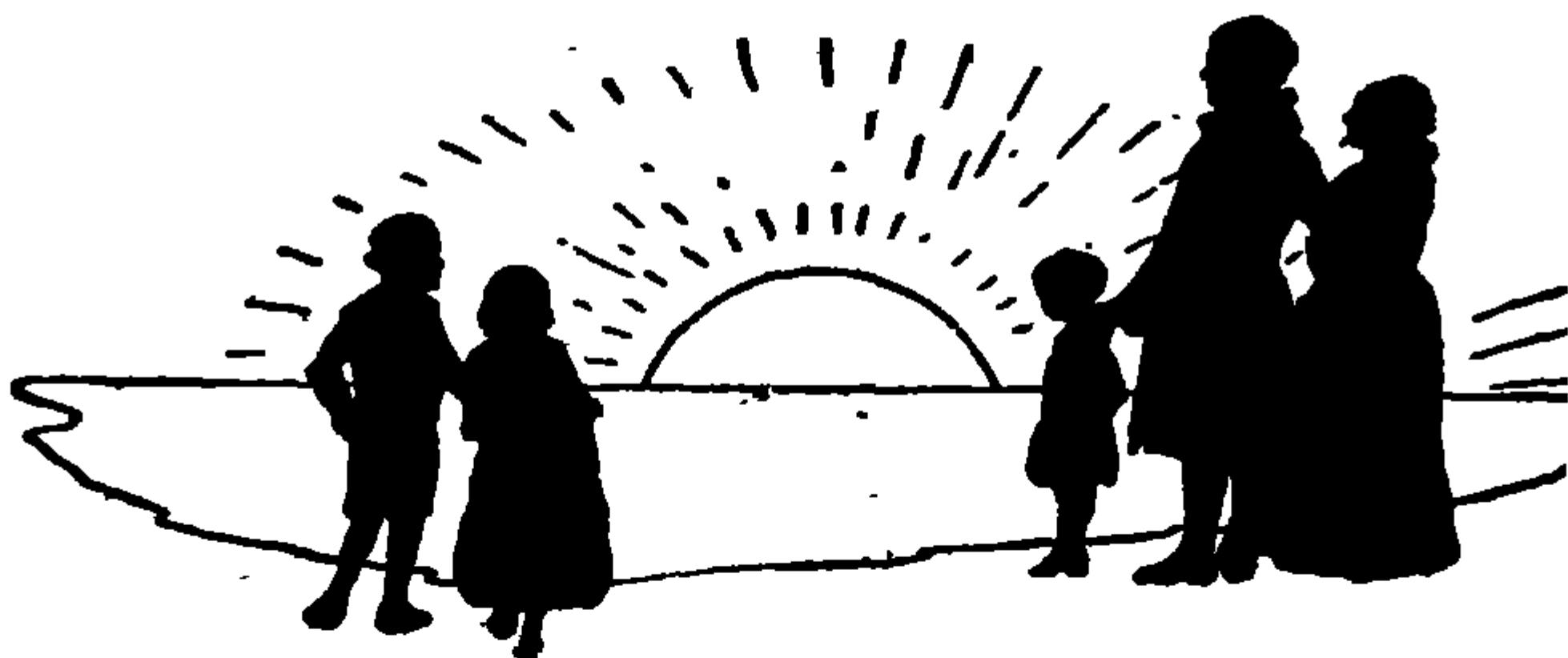
يقول الخطاب ان تاجرا شهيرا يدعى « الدوبراند »
قد مات أخيرا وترك كل ثروته لمن يدعى « جون ترنشارد »

من قرية « مون فليت » بساحل « دورست » بانجلترا ..
ونظرا لأن هذا التاجر قد مات دون أن يكون له ابن
يرثه فانه يترك كل هذه الأموال « لجون ترنشارد » لأنه
قد حصل منه بطريق الغش والخداع على جوهرة ثمينة
ولم يعطه ثمنها لها ، بل وادخله الى السجن .. وبمجرد
أن حصل « الدوبراند » على هذه الجوهرة دون وجه
حق .. ساءت أحواله وحلت به التعاسة .. وشعر أن
هذه التعاسة هي عقاب له على غشه وخداعه وخيانتة
.. ولهذه الاسباب كلها فانه يترك أمواله بعد موته
« لجون ترنشارد » وذلك تكفيرا عن الذنب الذي جناه
ضده ..

هكذا عاد الى ثمن الجوهرة الثمينة .. ولكننا
(أنا وزوجتى جريس) قررنا أن نتبرع بكل هذه الأموال
الى الفقراء ..

وفى كثير من الأحيان كنا نخرج - أنا وجريس -
للتنزه فى غابة « مانور » .. ونصحب معنا أولادنا ..
جون الصغير .. وجريس الصغيرة .. والزفير
الصغير ..

وهناك نتمتع دائما بمنظر الشمس الغارية ..
وهى تلقى انوارها الذهبية فوق قمم التلال .. بينما
تتقدم تباشير الليل بخطوات صامتة .. ولاصوت يسمع
هناك سوى صوت البحر وهدير أمواجه ! ..



الفهرس

الصفحة

- الفصل الأول : قرية مون فليت . . . ٧
- الفصل الثاني : الموهون يتحركون . . . ١٩
- الفصل الثالث : تحت الأرض . . . ٢٧
- الفصل الرابع : المخازن السرية للمهربين . . . ٣٣
- الفصل الخامس : سجين داخل القبر . . . ٤٩
- الفصل السادس : فى حانة « هواى نوت » . . . ٥٩
- الفصل السابع : سقوط الدبوس . . . ٦٧

الصفحة

٧٧	• •	الفصل الثامن : شخص يتصنت بالباب
٨٥	• • • •	الفصل التاسع : جريس ماسكيو
٨٩	• • •	الفصل العاشر : القبض على ماسكيو
٩٧	• •	الفصل الحادي عشر : مصرع ماسكيو
١٠٩	• •	الفصل الثاني عشر : تسلق الطريق الخطر
١٢١	• • • • •	الفصل الثالث عشر : الكهف
١٢٩	• • • • •	الفصل الرابع عشر : الشفاء
١٤٥	•	الفصل الخامس عشر : سأنتظرك حتى تعود
١٥٩	• • •	الفصل السادس عشر : في القلعة
١٦٩	• •	الفصل السابع عشر : النزول الى البئر
١٨٢	• •	الفصل الثامن عشر : ضياع الجوهرة

الصفحة

الفصل التاسع عشر : السجن ١٩٧

الفصل العشرون : العاصفة ٢٠١

الفصل الحادى والعشرون : العودة الى موز .

فليت ٢١٣

الفصل الثانى والعشرون : النهاية . . . ٢٢١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع ٩٩/١١٣٦٧

L.S.B.N-----

977 - 01- 6394 -5



هذا هو العام السابع من عمر «مكتبة الأسرة» .. ومنذ سنوات طوال لم يلتف الناس حول مشروع ثقافى كبير كما التفتوا حول هذا المشروع الثقافى الضخم حتى أصبح مشروعهم الخاص، وطالبوا باستمراره طوال العام. واستجبنا لهذا المطلب الجماهيرى العزيز ايماناً منا بأهمية الكتاب؛ وبالكلمة الجادة العميقة التى يحتويها؛ فى إعادة صياغة وتشكيل وجدان الأمة واستعادة دورها الحضارى العظيم عبر السنين.

لقد استطاعت «مكتبة الأسرة» .. أن تعيد الكتاب مصدراً هاماً وخالداً للثقافة فى زمن التكنولوجيا المعاصرة.. وها نحن نحتفل ببدء من عمر هذه المكتبة التى أصدرت (١٧٠٠) عنواناً من «٣٠ مليون نسخة» تحتضنها الأسرة المصرية وعقولها زاداً وتراثاً لا يبلى من أجل حياة الأمة.. ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى

موزان هباز

Bibliotheca Alexandrina



0628813

مكتبة الأسرة

١٠٠ قرش

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٨

